صوت النساء

معاً من أجل التحرير... معاً من أجل بناء الوطن

توزع مجاناً

٣ تشرين ثاني - ٢٠١١ العدد ٣٣٥ | صحيفة شهرية تعنى بقضايا المرأة المجتمع | 3 November 2011 NO 335

أنا لي سماءٌ كالسماء صغيرةٌ زرقاءُ

أحملها على رأسي

وأسعى في بلاد الله من حيّ لحي

هذي سمائي في يدي

تميم البرغوثي

طاقم شؤون المرأة

النوع الإجتماعي في أدب الطفل

عدسة: عصام الريماوي
خاصة بصوت النساء

صوتنا

العلم في الصغر

تعتبر التربية من أهم ركائز تكوين وإنشاء الأجيال، وما يتم تعليمه للأطفال منذ الصغر بمثابة حفر في المعارف، والتي تتحول لاحقاً إلى سلوكيات. من خلال تجربتنا في حقل التعليم غير الرسمي، التدريب واللقاءات المختلفة، نلتقي مع الكثيرين والكثيرات اللذين يعبرون عن عدم معرفتهن ومعرفتهم بما نقوله، وإن «هذه أول مرة أسمع وأعرف ذلك...». وهذا يبين لنا أهمية البدء في غرس المفاهيم، الاخلاق والأفكار منذ الصغر، لكي تتحول إلى سلوكيات.

عندما نناقش ونعمل مع أطفال من خلال أدبهم، قصصهم، ألعابهم حول مفاهيم معينة، الحقيقة أننا نؤثر على طريقة نظرتهم لهذه المفاهيم، ومن الضروري أن تكون هذه النقاشات مصاحبة لما يشاهده على التلفاز، يسمعه من أهله ويتعلمه في مدرسته. والمشكلة الحالية، التي نعيشها على أكثر من صعيد، هي أن للمدرسة رسالة مختلفة عن رسالة الأهل، والأهل رسالتهم مختلفة عن ما يسمعه الأطفال ويشاهدونه خارج بيوتهم. مما يصعب في النهاية أي جهود للتأثير على فكر الأطفال.

لطالما يوجد غياب لخطة وطنية شاملة، تأخذ على عاتقها وضع وتطبيق لرؤية اجتماعية واضحة، متناسقة بين كافة المجالات، سيبقى الوضع كما هو، وسنلتقي غداً مع أطفال اليوم، وسوف يقولون لنا «لم نسمع من قبل». وفي المشروع المشار إليه داخل صفحات «صوت النساء»، حاولنا أن نغرس بعض المفاهيم الحقوقية لبعض الأطفال، ولبعض المسؤولين والمسؤولات في المكتبات الخاصة بالأطفال، لعلنا نجحنا ولو على مستوى محدود بهذه المهمة.

إضاءات

نفذ بالشراكة بين طاقم شؤون المرأة وتامر للتعليم المجتمعي

غرس لمفاهيم النوع الاجتماعي لدى الأطفال من خلال الأدب

غزة: إسلام الاسطل

لم يكن محمد ١٠ أعوام، يتقبل فكرة أن يساعد والدته في أعمال المنزل، أو أن يقوم بترتيب سريره وحاجياته، معتبراً أن هذه الأعمال جميعاً من اختصاص الن ساء فقط. محمد الذي يقطن في شمال قطاع غزة، التحق قبل عدة شهور بإحدى مكتبات الأطفال، ومع مرور الوقت بدأ يتغير تدريجياً، تقول والدته «كان أحمد كثير العصبية، ولا يحب أن يلعب مع شقيقاته، ولكنه اليوم أصبح أكثر ليونة وتفهماً، وكثيراً ما يلعب مع شقيقاته بالعرائس وهوأمر لم يكن مألوفاً، وعن هذا التغيير تقول والدة أحمد: «كنت أخشى من علاقة أحمد بشقيقاته، وتعامله معهن على أنه الرجل وهن التابعات، كنت أتمنى أن تتغير تلك الصورة، وبالفعل بدأت ألمس الكثير من التغيير في شخصيته وفي سلوكه تجاه الآخرين.

محمد هو أحد الأطفال الذين انضموا لمشروع «مراجعة ما نعرف، والذي ينفذه طاقم شئون المرأة بالشراكة مع مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، وبتمويل من المؤسسة الاسبانية «الحركة من أجل السلام MPDL».

هلا رزق منسقة المشروع في طاقم شئون المرأة قالت: «إن المشروع يهدف إلى دمج الأطفال في المكتبات العامة في منطقتي قطاع غزة والخليل، لفهم المفاهيم الإيجابية للنوع الاجتماعي، باستخدام كتب الأطفال والفن التعبيري، وأضافت أن المشروع عمل على بناء قدرات عشرين شخص من طاقم مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، من أمناء المكتبات والمتطوعين والموظفين حول مفاهيم النوع الاجتماعي، وتشجيع الأطفال للتعبير عن رؤيتهم تجاه النوع الاجتماعي، من خلال الأنشطة داخل المكتبات، «قراءة القصص، والأنشطة الترفيهية»، لتحليل الأثر والتغيرات على سلوك الأطفال تجاه النوع الاجتماعي، بعد تلقي أمناء المكتبات التدريب الخاص بكيفية توظيف الأدب في فهم الأدوار الاجتماعية لكل من الرجل والمرأة.

وأوضحت رزق، أن الطاقم شريك في المشروع، من خلال الشق التدريبي والاستشاري، إذ قام الطاقم بتدريب ٢٠ من أمناء المكتبات وموظفي مؤسسة تامر في مواضيع النوع الاجتماعي والأدب، وآليات توظيف هذه المفاهيم في قراءة القصص للأطفال، وقياس التغيير الذي طرأ على كل من أمناء المكتبات والأطفال قبل وبعد تلقي التدريب.

محمد زيارة منسق مكتبات أدب الأطفال في مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، أشار إلى أن مؤسسة تامر التي تقوم بإصدار قصص وترجمتها، أدركت أهمية التركيز والاهتمام بالنوع الاجتماعي، باعتبار الأدب أحد أدوات التغيير، وأوضح أن الفكرة تقوم على كيفية قراءة قصص الأطفال بطريقة تراعي النوع الاجتماعي، لافتاً إلى أن مؤسسة تامر تحاول أن تكون طاقم قادر على ربط النوع الاجتماعي بالأدب، ومراعاته في القصص المطروحة للنشر في الفترة المقبلة. وأوضح زيارة أن ثقافة المجتمع القائمة على الفصل بين الجنسين كانت بارزة، كأحد الإشكاليات التي تواجه فريق تامر بشكل تلقائي بين الأطفال، إلا أنه ومن خلال التدريب، بدأنا نلاحظ أن هنالك تغيير على سلوكيات الأطفال، كانعكاس طبيعي للمشروع، لافتاً أن الأطفال ومن خلال النقاش الذي يدور حول القصة من خلال أمين المكتبة، بدؤوا يفكرون بشكل مختلف، ويتساءلون عن الأدوار الاجتماعية الواقعية وما هو مطلوب فعلياً.

وعن مراحل المشروع قال زيارة: «يمتد المشروع على مدار خمس شهور، مع خمس مكتبات موزعة في عدة مناطق في قطاع غزة، لكل مكتبة ١٠ ورشات تتناول قراءة قصة ونقاش قصة وكتابة إبداعية، دراما ومسرح وعمل مسرحي جماعي.

وعن تقييمه للمشروع قال زيارة: «إن المدة الزمنية غير كافية سواء لطاقم أمناء المكتبات، كأول مرة يتعرفون فيها على موضوع النوع الاجتماعي وكيفية توظيف

الأدب لترسيخ مفاهيم الأدوار الاجتماعية، وأطفال من مناطق مهمشة، موضحاً أن الفكرة بشكل عام وصلت لأمناء المكتبات وللأطفال، وإن كانوا بحاجة لتدريب أكثر عمقاً، ليكونوا قادرين على إحداث التأثير والتغيير المطلوب.

ولفت زيارة إلى أن إحدى الإشكاليات التي واجهت المشروع، أن هناك تناقضاً بين ما نحاول إيصاله وبين الواقع الذي يعيش فيه، والذي تترسخ فيه صورة الرجل المهيمن والأم الضعيفة المتواجدة دوماً في المطبخ. وقال: «كان يجب أن يستهدف المشروع أطرافاً أخرى أكثر تأثيراً على فئة الأطفال، مثل أولياء الأمور».

وعن إمكانية الاستمرارية قال زيارة: «تامر تقوم بأنشطة مستمرة في تعزيز القراءة، من خلال أمناء المكتبات الذين تلقوا التدريب، وهذا كفيل بأن يقوم أمناء المكتبات تلقائياً بمراعاة النوع الاجتماعي خلال قراءة القصص، الأمر الذي يؤكد استمرارية الفكرة، بغض النظر عن استمرارية المشروع. .موضحاً أن مؤسسة تامر تسعى لنقل التجربة لباقي أمناء المكتبات.

واعتبر زيارة أن المشروع نجح في كسر لغة الصمت بين الأطفال، وأصبح الطفل يتحدث عن بيئته وأسرته ويناقش سلوكيات المحيطين حوله، ويبدي موافقته أو رفضه لهذه السلوكيات.

فداء عليوة ٢٤ سنة، أمينة مكتبة أجيال ضمن مشروع مراجعة ما نعرف تقول: «لم أكن أعرف ما هو النوع الاجتماعي، وكان من الصعوبة أن أكون قادرة على إيصال مفهوم النوع الاجتماعي للأطفال من خلال القصة، ولكن بعد التدريب، أصبحت أدرك أهمية تلك المفاهيم التي كانت غائبة عني في قراءة الأدب، وأصبحت قادرة على توظيف القصة والأدب والألعاب التنشيطية، لغرس مفاهيم النوع الاجتماعي لدى الأطفال بشكل غير مباشر، وتوضح عليوة أن تلك المفاهيم مرتبطة بالمشاركة في أعمال المنزل، والمساواة بين الولد والبنت في الحقوق والواجبات.

عليوة تؤكد أن طريقتها في عرض وقراءة القصة اختلفت بعد التدريب، قدرتها على مناقشة الأطفال وإقناعهم أصبحت أفضل.

تعترف عليوة أنها لم تكن يوماً تؤمن بمفاهيم النوع الاجتماعي، وكانت تنظر للمرأة على أنها كائن رقيق وضعيف، والرجل هو الكائن القوي القادر على تحمل المسؤولية. وتقول: «بعد أن تلقيت تدريب النوع الاجتماعي، تغيرت قناعتي بشكل جذري».

وتشير عليوة إلى أن الأطفال ومن خلال الورشات، أصبحوا يستحضرون قصص واقعية تعبر عن النوع الاجتماعي، ويقومون بكتابتها ولعب الأدوار، مما تعتبره نجاحاً في إيصال الفكرة بشكل غير مباشر.

وهو ما أكدت عليه أمينة مكتبة جمعية العطاء الخيرية سناء عوض الله، لافتة إلى أن التدريب في الأدب والنوع الاجتماعي الذي تلقته من خلال طاقم شئون المرأة، كان كفيلاً بأن يساعدها على توظيف كل الأدوات في ترسيخ مفاهيم النوع الاجتماعي لدى الأطفال. مشيرة إلى أن قراءتها للقصة اختلفت بشكل كلي بعد التدريب عما قبله، وتقول: «أصبحت أراعي مفاهيم النوع الاجتماعي في قراءة القصة، وأفتح المجال أمام الأطفال للتعبير عن رأيهم فيها. وتوضح عوض الله، أن تغييراً ملحوظاً طرأ على سلوكيات الأطفال وقناعاتهم المتعلقة بالأدوار الاجتماعية، وأصبح هناك حالة من الدمج بين الذكور والإناث، مع قناعة بعدم وجود فروقات في الأدوار الاجتماعية بينهما.

وتوضح أن التجربة تستحق أن تنتشر على نطاق أوسع، لأن الأطفال في سن ١٢ ___١٥ سنة، فئة مناسبة لترسيخ مفاهيم النوع الاجتماعي.

الاستشارية الخاصة بالمشروع د.مي نايف، أكدت أنها ومن خلال متابعتها لأداء أمناء المكتبات في مؤسسة تامر، لاحظت أن غالبية هؤلاء العاملين لا يعرفون ما هو النوع الاجتماعي، ولم يتلقوا أي تدريبات سابقة في الموضوع، الأمر الذي تطلب عقد تدريبات متخصصة في النوع الاجتماعي، وقراءة الأدب من منظور جندري.

وأشارت إلى أن أمناء المكتبات ما بعد التدريب، وجدوا صعوبة في تطبيق النوع الاجتماعي على أدب الأطفال في بداية الأمر، إلا أنهم بعد عدة جلسات، بدأنا نلمس استجابة أكبر ورغبة لديهم في تطبيق مفاهيم النوع الاجتماعي على الأنشطة الخاصة بأدب الأطفال.

لافتة إلى أن هذا يعتبر نجاح، أن نصل بأمناء المكتبات من مرحلة عدم المعرفة المطلقة بالنوع الاجتماعي، إلى قناعة تامة بمفاهيمه ورغبة في تطبيقه على كل المستويات. واعتبرت نايف أن مدة المشروع لم تكن كافية، وإن كان نجاح الفكرة غير مرتبط باستمرارية المشروع، وإنما بالوصول بطاقم العاملين في مكتبات الأطفال ضمن مؤسسة تامر، إلى مفاهيم النوع الاجتماعي، وتوظيف الأدب لترسيخ تلك المفاهيم في الأجيال القادمة.

وأكدت نايف أن الأدب قادر على تغيير السلوك، لأن القصة بعد قراءتها تتركز في اللاوعي وتنعكس على سلوكيات الفرد بشكل لا إرادي، وتصبح من قيم هذا الفرد ومعتقداته التي لا يمكن تجاوزها. وقالت نايف أن الطفل يعيش مفارقة بين ما يسمعه من خلال قراءة القصة، وبين واقعه الذي يعيشه، مما يتطلب الاستمرارية في ترسيخ الأفكار من خلال الأدب، باعتبار أن الطفل هو المساحة البيضاء التي يمكن أن تزرع فيها ونبني ونؤسس من خلالهم مجتمع قائم على احترام كينونة كل من الرجل والمرأة، وفقاً لأدوارهم في المجتمع، وليس وفقاً لجنسهم.

وقالت: «الإشكالية أن بعض القصص لا زالت تحتوي على صور ترسخ الصورة النمطية للمرأة، مما يخلق حالة من التناقض لدى الطفل، الذي نحاول أن نرسخ لديه مفاهيم النوع الاجتماعي، ونعرض له صور مناقضة لهذه المفاهيم.

وأوضحت نايف، أن القصص التي تم العمل عليها من خلال المشروع من إصدار تامر، ومن خلال قراءتي لها، لاحظت أنها جميعاً تم فيها مراعاة النوع الاجتماعي في النص أكثر من الصورة، ودعت نايف مؤسسة تامر أن تراعي في إصداراتها القصصية المستقبلية الصورة الجندرية، لضمان التوافق بين النص والصورة، لتحقيق العدالة الجندرية في المجتمع الفلسطيني.

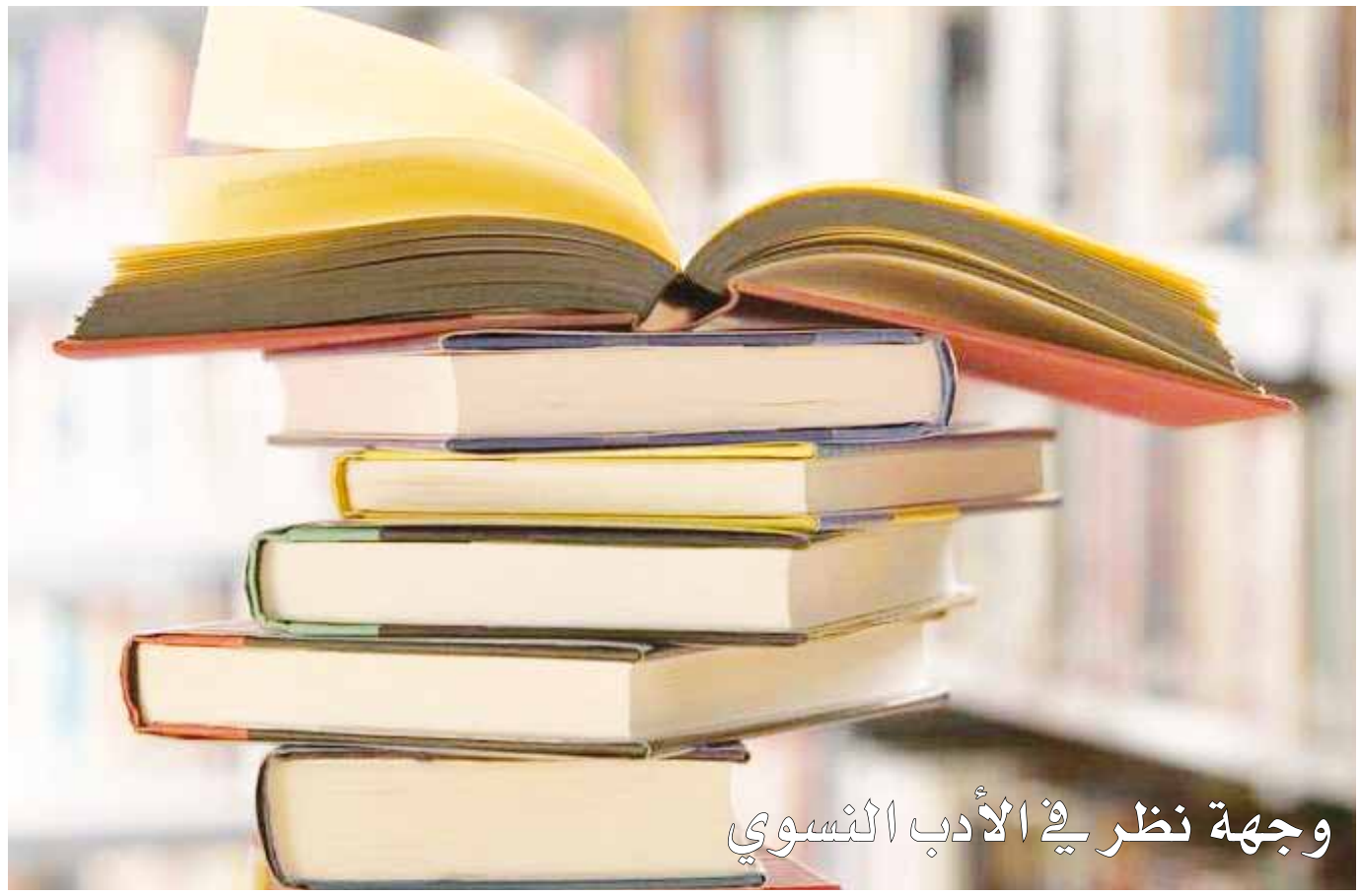

مصطلح يعزز النظرة الإقصائية للمرأة

الأدب إبداع إنساني لا يجب أن يجنّس

ديمة جمعة السمان

الأدب النسوي؟! مصطلح يحمل في طياته أكثر من معنى، له عدة مفاهيم، فهل هو الأدب الذي يتناول قضايا المرأة، أكان الكاتب رجلاً أو امرأة؟ أم هو الأدب الذي تكتبه المرأة؟ مهما كان النص، لمجرد أن النص كُتب بقلم امرأة؟

إذا كان كذلك، فلماذا هذه الخصوصية للمرأة؟ لماذا لا نعطي هذه الخصوصية لما يكتب الرجل ونقول «أدب الرجل»؟ وهل هناك حقا أدب نسوي وأدب رجالي؟ أم أن الرجل يحتكر الأدب، وقد أصبحت المرأة دخيلة عليه، فرضت نفسها وهي غير مرحّب بها، وبالتالي استدعى ذلك التخصيص؟

إن غياب التحديد الدقيق لمصطلح الأدب النسوي، ساهم في شيوع مفاهيم مختلفة غير واضحة ودقيقة، أدت إلى تقسيم الأدب على أساس الهوية الجنسانية للنص الأدبي.

للأسف، فقد دخل مصطلح الأدب النسوي حقل التداول في النصف الثاني من سبعينات القرن الماضي، وقد عززت صحافتنا الأدبية هذا الإصطلاح وساهمت في تداوله وترسيخه، وقد ارتبط حقاً بجنس الكاتب، وأصبح أمراً واقعاً يفصّل الأدب ويقسّمه. وقد تسبب هذا الإصطلاح بتنوع في مدى تقبله بالنسبة للكاتبات، فمنهن من رفضنه بشكل قاطع، ومنهن من تمثل موقفهن بالوسطيّة، بسبب وجود خصوصية تاريخية واجتماعية لتجربة المرأة ومعاناتها الطويلة. أما القسم الثالث فقد تلقفن المصطلح وأخذن يدافعن عنه، ولكن دون وعي نظري ومنهجي واضح ومحدد.

أما أنا، فلست من مؤيّدي هذا المصطلح الدخيل. وأرى أنه يزيد من التهميش في دور المرأة الإنساني، وحقها في التعبير عن نفسها في حقول الأدب المختلفة، لأن المصطلح بحد ذاته يؤثر بشكل أو بآخر على عملية استقباله من المتلقي واستيعاب حدوده ودلالاته، وبالتالي بكيفية التعاطي معه، وهذا ليس في صالح المرأة وإبداعاتها الأدبية بشكل عام.

فبدلا من تخصيص اصطلاح للتعريف بما تكتبه المرأة، إن كان أدباً نسوياً أو أنثوياً، أو.....، على الأدباء معاً نساءً ورجالاً، السعي لتوفير أرضية ملائمة، بهدف تراجع النظرة الإقصائية للمرأة، وإشاعة لغة تتحاور فيها مفاهيم الشراكة، ويتوازن فيها استعمال الضمائر طبقا للسياق، وليس استناداً للتغليب والإختزال.

فالحصار والقمع يساهمان في تحطيم الرجل كما المرأة، حيث أدى ذلك إلى: إما دفن العديد من الأقلام النسوية وهي لا زالت في مهدها، والتي كان لها مستقبل واعد، أوتسبب ذلك بلجوء بعض الكاتبات إلى الكتابة بردّات فعل عنيفة وهجومية حاقدة، ساعية إلى تهميش الرجل، أو إلى الكتابة بإباحية مفرطة غير مقبولة اجتماعياً، أو الكتابة بيد نسوية وبأسلوب ذكوري، خال من الحس والطابع الإنساني، وبالتالي يخرج نصاً ناقصاً غير مكتمل، مفتقرا إلى التوازن على المستوى النفسي والإجتماعي.

وأنا أؤيد مقولة سيمون دي بفوار المشهورة: «المرأة لا تولد امرأة، ولكنها تصبح كذلك». كما أؤيد مقولة الأديبة غادة السمان: «هل هناك زراعة ذكورية وأخرى أنثوية؟». فالأدب لا ينبغي أن يجنّس،الأدب هو إبداع إنسانيّ.

وهناك العديد من الأديبات المبدعات الفلسطينيات، اللواتي فرضن أنفسهن على الساحة الأدبية العربية والدولية، ولكن للأسف بجهود فردية محضة، فهن يعشن بين مطرقة المجتمع الذكوري، وبين سندان قلة الدعم الرسمي المعنوي والمادي لابداعاتهن.

كما أن معظم الأديبات اللواتي تطرقن إلى القضايا الخاصة بهن، التجأن إلى الرمزية للتعبير عن أنفسهن ووصفهنّ لواقعهن، وذلك تجنّباً للإصطدام بالمجتمع الذكوري.

كما أنه لا يمكن إغفال العوائق التي تجعل هناك صعوبة لاتصال وتواصل كثير من المبدعات مع المشهد الثقافي. على الرغم من تطور وسائل التكنولوجيا الحديثة، التي جعلت من العالم قرية صغيرة. إلا أن الإبداع الكتابي بحاجة إلى نوع آخر من المعرفة، بحاجة إلى الإحتكاك المجتمعي، الذي يزيد من وعي المرأة وتطورها واكتشافها لنفسها وقدراتها وموهبتها الإبداعية، بعيدة عن الصورة النمطية عن المرأة، وتحديد مهامها ضمن إطار البيت المغلق. وبعيداً كل البعد عن الرضوخ للجلوس في المركز الثاني بعد الرجل، لتكون ظلاً خفيّاً له.

ومع ذلك فقد شهدنا نجاحاً وإبداعاً للعديد من الأديبات، اللواتي أخرجهنّ وعيهن من بوتقة الاستسلام للمجتمع وتقاليده البالية، إلى منطقة الدفاع والحفاظ على ذواتهن، وعن ما تملكن من فكر ووعي لا يقل عن الرجل، وقد يفقنه في بعض الأحيان.

استطعن بكتاباتهن الإبداعية ملامسة القاريء والوصول له بسلاسة، وقد ساهمن بشكل واضح وكبير في تطوّر الأدب الفلسطيني المرتبط بالقضية الوطنية، مما دفع المجتمع للإعتراف بإبداعاتهن، وبالتالي وجدن دعماً ذكورياً لمسيرتهن، وهن قليلات.

وهناك من كتبن وأبدعن تحت أسماء مستعارة، في انتظار الوقت المناسب للإعلان عن أسمائهن الحقيقية.

فهناك كتب جيدة وأخرى سيئة لكلا الجنسين، يا حبذا لو اعتمد التصنيف وفق تلك الأسس. وفي الختام، أعتقد أنه على الرغم من أننا نخطو خطوات كبيرة وسريعة، نحو تحرّر الفكر العربي من العقلية الذكورية، إلا أنه لا يمكن للمرأة أن تخرج من قوقعتها إلا بدعمها لنفسها، والسعي جاهدة للإرتقاء بنفسها ومعارفها، والعمل على تثقيف نفسها بنفسها، معبرة عن صوت الوجه الآخر للمجتمع الفلسطيني برؤيتها الخاصة والمميزة.

الجامعات والمنظمات الأهلية والشباب

خلود بدار

لدينا في فلسطين ١٢ جامعة، وضعف هذا الرقم من المعاهد، وأضعاف أضعافه من المنظمات غير الحكومية، وفي المقابل يتخرج من هذه الكليات سنوياً آلاف الطلبة، كما يشترك ما لا حصر له من هؤلاء الطلبة وغيرهم من الموظفين وربات البيوت في الدورات التدريبية المختلفة، التي تنظمها الوزارات والجامعات والمنظمات غير الحكومية في شتى المجالات. وبناء عليه، من المتوقع أن يكون مستوى هؤلاء الخريجين في ثقافتهم ومهاراتهم عالياً ومتميزاً، خاصة بعد أن تلقوا تدريبات واستمعوا لمحاضرات تحت شعارات وعناوين كبيرة «القيادات الشابة، مهارات الاتصال، الجندر، الإدارة، حقوق الإنسان، الديمقراطية...»، ولكن النتائج على الأرض، وللأسف، صادمة ومفجعة.

حيث تجد معظم هؤلاء يعجزون عن كتابة موضوع من صفحة واحدة، أو حتى صياغة استدعاء لمعاملة حكومية بسيطة، أو التعبير عن أي قضية، لغتهم العربية «تطبيش»، لا يعرفون معاني أبسط المصطلحات، معلوماتهم العامة فقيرة وثقافتهم سطحية، منهم من لا يعرف شيئاً عن تاريخ فلسطين، ولا أين تقع الصين، أو اسم سكرتير الأمم المتحدة، يجهلون أبسط البديهيات، ولديهم أفكار غامضة ومشوشة عما يجري من حولهم من أحداث. في إحدى مدارس أبو ديس، عجز جميع طلبة الصف الثامن عن معرفة عدد أيام السنة!! عينة عشوائية من طلبة بير زيت، لم يعرفوا معنى الثيوقراطية! وعينة أخرى من طلبة بيت لحم، لم يعرفوا معنى الأنظمة الاستبدادية! وعينة من ٥٠ خريجة تقدمن لإحدى الوظائف الشاغرة، لم تعرف سوى خمسة منهن كم تبلغ مساحة فلسطين!

أين الخلل؟! ولماذا يعاني هذا الجيل من الضياع والتيه؟! لماذا شباب اليوم يمشون متثاقلين، ويمضون بلا هدف، وبلا طموح، وقد قُتلت في دواخلهم الرغبة والحماسة لأي شيء؟! ولم يعد لديهم فضول يدفعهم، أو نظرية توجههم، أو فكرة تحتويهم؟! أسئلة عديدة ومؤلمة نطرحها على الجهات المعنية، وأولها جامعاتنا العتيدة.

في السبعينات والثمانينات، وحتى في التسعينات من القرن الماضي، كان مستوى الشباب أعلى بكثير، بفكرهم وثقافتهم ومشاركتهم في القضايا العامة، باستعدادهم للعمل التطوعي، للتضحية، لقراءة كتاب. كانوا شعلة من الحيوية والإندفاع، وكانت السياسة وفصائل المقاومة وقضايا الصراع محور أحاديثهم، حتى أثناء لعبهم الطرنيب والتركس. اليوم نلحظ بوضوح انخفاض منسوب الوعي العام، لصالح اهتمامات جديدة ومختلفة، قد يكون بعضها أو معظمها مهماً ومفيداً، لكن مع ذلك فجيل اليوم يدعو للشفقة، ولا يبشر بالمستقبل الواعد الذي حلمنا به.

وعند البحث عن بعض الإجابات، سنرى أن مناهج التدريس في المدارس والكليات، وكذلك أساليب التدريس بحاجة ماسة للمراجعة والتقييم. وقبل الشروع في الدورات التدريبية المختلفة فلنبحث عن احتياجات التدريب أولاً، ثم نبحث عن آليات واقعية للاستفادة من هذا التدريب، وبدلاً من ورش العمل التي لا يستفيد منها إلا أصحاب الفنادق، فلنفكر بوسائل أخرى، وبدلاً من العناوين المثيرة التي لا علاقة لها بواقعنا، فليكن التركيز على قضايانا وهمومنا اليومية. المنظمات غير الحكومية عليها أن تقلع عن عادة البحث عن مصادر تمويل لمشاريع ضبابية، وأن يكون همّها الأول من مشاريعها هو تحقيق التنمية الحقيقية المستدامة، بدلاً من التركيز على مخارج وهمية لتغطية بنود معينة في الموازنات، والإغداق على مصاريف لا فائدة منها. فصائل العمل الوطني مطلوب منها أيضاً أن تقلع عن منهج حصر العمل الوطني في الاستقطاب الحزبي، وجعله موسمياً وفي المناسبات، واعتبار الحزب أو الفصيل أهم من الوطن، وعليها أن تفكر بأساليب جديدة لاحتواء الشباب وتعزيز انتماءهم وتنمية قدراتهم.

باختصار، علينا جميعا أن نغير أسلوبنا في التفكير، وأن نكون أكثر صدقاً مع أنفسنا. وإلا فإن هذا الجيل «الضائع»، سيقودنا إلى مزيد من الضياع.

خصوصية الكتابة للطفل

من أجل طفل خارج النمط

خالد جمعة

طفل اليوم هو الوطن غدا، وبعيدا عن المقدمات التي لا طائل من ورائها، فجميعنا يعرف أن هناك عدة مصادر يتلقى الطفل ثقافته من خلالها، فعدا عن التربية والتعليم والتجربة الشخصية بالعلاقة مع المحيط، وأشياء أخرى، يشكل الأدب أولى إطلالات الطفل على عالم يقع خارج محيطه المحسوس وداخل مخيلته الشخصية في نفس الوقت، لذا فإن ما يقدم للطفل في هذه المرحلة إنما يؤثر فيه بعمق يستمر معه في الغالب طوال سنوات حياته المقبلة، ومن هنا جاءت أهمية الكتابة للطفل، وبالتالي فإن هذه الورقة تحاول أن توجز التوجهات التي يجب أن تتوفر في الكتابة للطفل كي تساعده على بناء شخصية ذات توجه حر، إبداعي، بعيد عن النمطية.

للطفل أكثر من تعريف، منها ما هو قانوني، ومنها ما هو عقلي ومنها ما هو نفسي، وعموما فإن الطفل إنسان من عمر صفر إلى عمر ١٢ سنة أما من هو فوق ١٢ سنة إلى ١٨ سنة فيعتبر فتى.

وحين نتحدث عن الطفل في الكتابة فهو أقرب إلى الطفل المفاهيمي، أي الطفل الذي يتمتع بحاسة الطفولة بغض النظر عن عمره، بدليل هذا الإقبال الهائل من الكبار على قراءة أعمال الأطفال.

ومفهوم الطفولة السابق ينطبق بحذر على الواقع الفلسطيني، حتى أن اختلالاً أصاب نظرة الطفل إلى نفسه، لقد فقد الطفل الفلسطيني إلى حد بعيد قدرته على الطفولة، وحين أقول قدرته على الطفولة فهذا لا يعني فقدانه طفولته، بل قدرته على ممارستها.

في أحيان كثيرة يتم الحياد عن الهدف الأساسي الذي يبحث عنه الطفل، ويتم تقديم العمل الأدبي والفني له بشكل مدرسي وشعاراتي، وهذا يحدث نوع من التشويه في شخصيته، فالطفل يبحث في الدرجة الأولى عن المتعة، وخارج إطار المتعة لا يمكن للطفل استيعاب أي رسالة مضمنة في الأدب، خصوصا في الأعمار الصغيرة، ويمكن إدخال أي عنصر تربوي أو معلوماتي ضمن سياق المتعة التي ينشدها الطفل، وذلك بغرض تنمية ذوقه الجمالي وإحساسه اللغوي بالدرجة الأولى.

أما حين نضطر إلى إدخال عنصر تربوي على سبيل المثال في أدب الطفل، فإن هذا يجب أن يتم في داخل غلاف من التشويق وبمهارة وحذر شديدين، إذ أن الطفل يستطيع كشف محاولات الالتفاف عليه ويحس بمن يعتقد أنه أذكى منه، فإذا أحب الطفل الكتاب فإنه يحقق لديه كثيرا من الفوائد منها ـ المتعة ـ الاكتشاف ـ تنمية اللغة ـ تنمية المخيلة ـ تنمية الحس البصري.

الطفل بشكل عام يحب أن يرى ما يسعده، الصداقة، العائلة، الحيوانات، والمواقف الإنسانية الرقيقة، يحب أن يقرأ عن الفقد والخوف ومشاكل العائلة.

الطفل يتميز بالرغبة في ترك انطباع، الغيرة، ويؤثر فيه النبذ والاستبعاد، وتعنيه العلاقة بالأخوة والأجداد، ويحاول دائما إعادة تأكيد الحب، ويتميز بميله إلى الشللية والأنانية، كما أن الأحلام والخيال هي مكون رئيس لشخصيته، ويتمتع بالقدرة على المطالبة بالحقوق والتملص من الواجبات، كما أن صراع الأجيال يعتبر من الأشياء التي تلفت نظره، ولديه دائما محاولة تبرير الأخطاء، ويقوم بتغيير سريع للأفكار، كما أنه سريع الغضب والرضى، ولديه حب التملك، وهو كثير الحركة، فضولي، عنيد، انتقائي، كثير الأسئلة، سريع الملل، يقلد الكبار.

هذا لا يعني حصر الكتابة للأطفال في هذه الجوانب، فيمكن الكتابة للطفل عن أي شيء ولكن من المهم بمكان أن نعرف ماذا وكيف نكتب له، فمثلا يحب الطفل النهايات الكاملة والسعيدة، ولا يحب النهايات المفتوحة والحزينة.

الدهشة الدائمة هي من العناصر التي تلازم شخصية الطفل، على أساس أن تفتحه على العالم يكون في أوجه، والفرق بين الطفل والبالغ هنا أن البالغ تدهشه أمور أكبر بكثير من تلك التي تدهش الطفل، نتيجة تراكم المعرفة لدى البالغ وحدوث الاشياء بأغلبيتها للمرة الأولى لدى الطفل، وعنصر الإدهاش من العناصر التي لا يخلو منها أي عمل أدبي للأطفال.

الفرق بين المتخيل والحقيقي لدى الطفل ضئيل لدرجة يمكن معها القول بعدم وجوده، ففي حين يتهم الأهل الطفل بالكذب والاختلاق لأنه قال إنه كلم حصاناً، فإن الطفل يكون مقتنعاً تماما بكلام الحصان معه، والأدلة على ذلك كثيرة، الطفل ولعبته، التعايش مع شخصيات الحكايات، محاولة تقليدها أو الخوف منها، والسؤال عنها وتصديق أفعالها.

الطفل ككائن من حيث التكوين النفسي والجسدي يقترب من الطبيعة، في براءتها وتلقائيتها، فهو يحكم على الأشياء والمواقف بتلقائية وبدون تردد، خصوصاً إذا كانت هذه المواقف تتعلق بحكم شعوري، أحب ـ أكره، حلو ـ بشع...الخ كما أنه كثير التساؤل، والتساؤل هو مفتاحه الأول للمعرفة، والأطفال الذين يسألون بكثرة يكونون أكثر معرفة من أقرانهم قليلي الأسئلة، وهنا يجب أن يتلقوا إجابات تتناسب ووعيهم دون كذب.

من المفترض أن الكتابة للطفل تكون مستمدة من عناصر يعرفها الطفل أو على الأقل يستطيع تخيلها، لأن الكاتب سيعاني من مشكلة كبيرة في توصيل كتابته للأطفال إذا خرج عن سياق حياتهم، وفي حالة وجود أشياء لا يعرفونها كأن تكون موجودة في بلد أخرى مثلاً، فيجب تقريبها لهم عبر ما يشبهها مما يعرفونه، ثم أن الحذر يجب أن يتوفر لدى الكاتب حين يتم الحديث عن قيم أخلاقية مجردة مثل الوفاء والخيانة إذ أن ارتباط الصورة بالقيمة قد تلازم الطفل للأبد، كما أن الطفل لا يمكنه استيعاب المفاهيم المجردة قبل بلوغه الرابعة عشرة، بالطبع هناك من يستوعبها في سن أصغر، ولكن الحديث هنا عن الغالبية التي استدلت عليها الأبحاث والدراسات.

اللغة المستخدمة للطفل يجب أن تكون مبسطة، ولكن ليست سطحية وتافهة، فليس الطفل بكائن غبي وإن كان قليل المعرفة، فهو يستطيع الإحساس بكاتب يحترم عقله أو كاتب يحاول أن يهزأ منه، ويمكن أن تحتوي القصة على مجموعة قليلة من الكلمات التي لا يعرفها الطفل إذ يمكنه الاستفسار عنها، ولكن إذا زادت عن المعقول فإنها قد تجعله يمل ولا يكمل القصة.

يجب أن تترك للطفل مساحة للاستنتاج، وألا تقدم له المعلومة جاهزة طوال الوقت، ولكن يجب مراعاة أن هذه المساحة المتروكة تدور في حدود ما يمكن للطفل أن يستنتجه، وألا تزيد كثيرا لتصل إلى درجة التعقيد، مثال على الاستنتاج، بدل أن نقول «إن القط كان شقياً» نقول « كسر القط المزهرية، وعبث بالكتب..الخ، وندع الطفل يستنتج شقاوة القط دون أن نخبره مباشرة، بمعنى أوضح، علينا أن نوضح للطفل الأشياء من خلال مواقف عملية يستنتج منها الرسالة لا من خلال تلقينه إياها، لأن ما يستنتجه الطفل يبقى في ذهنه ربما إلى الأبد.

كيف يمكن أن نقول إن الكتابة الإبداعية هي كتابة ذاتية، وفي نفس الوقت يقوم كاتب في الأربعين من عمره بالكتابة للطفل؟ عملياً إن أي كاتب للأطفال يجب أن يتمتع بمسألتين هامتين من بين المسائل التي تؤهله للكتابة للأطفال، الأولى هي قدرته على تذكر أحداث طفولته، وهذه هي الأرضية التي تبنى عليها المسألة الثانية وهي تذكره لردود أفعاله على هذه الأحداث، وبالتالي عندما يكتب للأطفال فهو يكتب لنفسه عندما كان طفلا وبهذا تصبح الكتابة لأطفال كتابة ذاتية حتى وإن كان العمر متقدماً. بمعنى آخر نحن نكتب للطفل الذي كنّاه يوماً.

يجب التفريق بين ذكاء الطفل وكمية المعلومات التي لديه، فلا نحمل إحداهما على الأخرى، وهذا خطأ يقع فيه كثيرون من كتاب الأطفال، يجب احترام ذكاء الأطفال من ناحية ولكن يجب في الوقت نفسه عدم التعامل مع هذا الذكاء على أنه ينتج معلومات تلقائية، فالمعلومة لها علاقة بالقراءات والأسئلة والتجارب... الخ

عندما نحاول طرح فكرة ما، علينا أن نتمتع بالجرأة، وألا نخاف من طرحها ونقول، إنه طفل، لن يفهم ذلك... الخ، ولكن المهم في نهاية الأمر أن نعرف كيف نتعامل مع ما نطرحه كي نوصله بأبسط طريقة ممكنة.

الكتابة للأطفال يجب أن تتمتع بتسلسل منطقي، بحيث لا تحدث تشويشاً لدى الطفل فتثير أسئلة لا إجابات لها مثل، كيف ماتت القطة في الصفحة السابقة وعادت بعد ذلك، إذا لم يكن هذا مبررا في القصة فإنه يحدث ارتباكاً لدى الطفل، فالطفل لا يستطيع استيعاب اسلوب الفلاش باك في القصة وهذا يجب تجنبه على الأخص في المراحل الأولى.

الطفل يحب أن تتأنسن الأشياء، كأن تتحدث الشجرة أو القطة، وتقوم بأفعال جميلة ومواقف مضحكة، فلافرق لديه بين طفل صغير وقطة صغيرة، وهو قادر على استيعابها وتصديق إنسانيتها.

يستطيع الطفل بذكائه أن يفهم ما يريده الكبار، لذا يمكن أن يعطي إجابات ترضي المدرس أو أفراد الأسرة في حين أنه لا يشعر حقيقة بهذا، كأن يجيب على سؤال: ماذا فهمت من القصة، بأن يقول: أن نساعد الضعيف ونعطف على المحتاج... الخ، لذا فإن السؤال عن رأيه في القصة هو أفضل الأسئلة.

التركيز على قضايا الجندر من الأشياء المهمة، فلا نجعل البطل ذكراً كل الوقت، ولا نجعل الفتاة مهمشة كل الوقت، أو نعطي أدوارا سيئة لعرق أو لون معين، إن هذا يدخل في صميم التربية التي يتلقاها الطفل، وخطورته أنه يجعل الأطفال يظنون أن هذا الوضع هو الوضع الطبيعي ويكبرون على ذلك مما يؤثر عليهم سلباً في المستقبل، وحين نكتب للطفل، يجب مراعاة ألا نوقعه في محاذير التنميط التقليدية، كأن تكون لعبة البنت عروسة مثلا، أو أن الأب يقرأ الجريدة والأم تغسل الصحون، فهذه الصور النمطيه تزرع في ذهن الطفل أموراً لها علاقة بالتفرقة والتمييز، علينا أن نقدم للطفل الصورة التي تكسر المسلمة الخاطئة.

الإعاقة حسب التعريف الأساسي لها هي كل ما يضطر الانسان لاستخدام أداة في تأدية عمل يمكن أداؤه بشكل طبيعي، المقصود هنا ليس فقط الإعاقة الجسدية الواضحة، بل حتى اللثغ في بعض الحروف، بطء الكلام، وكل ما يجعل الطفل يبدو مختلفاً عن الآخرين، وهنا تكمن اللعبة التي يجب أن نقدمها في كتابة الأطفال، أن الإعاقة لا تعني شيئاً سوى الاختلاف...

لا نستخدم أكثر من صوت في كتابات الأطفال، الطفل لا يستطيع استيعاب ذلك، ولا يُفهم من هذا عدم تعدد الشخصيات، فيمكن وضع شخصيات بالعدد اللازم ولكن المقصود بالصوت هنا صوت راوي القصة.

إذا كان لديك كتاب أطفال في المكتبة بغرض البيع، فإن أمامك فرصة لا تتعدى ٣ ثواني لاستيقاف عين الطفل في مرورها السريع على الكتب، فإذا لم يستوقفه الغلاف في هذه الثواني الثلاث، فقد ضاعت الفرصة في أن يشتري الكتاب، ومن هنا تتضح أهمية الغلاف في كتب الأطفال، والغلاف يمكن أن يحمل أشياء كثيرة جاذبة للطفل، العنوان، الألوان، الرسومات...الخ، أما الخط فيجب أن يكون واضحاً ومقروءاً، وفي حالة العمر الصغير تكون المساحات للصور مع كلمات قليلة وخط كبير وكلما ازداد عمر الطفل قلت المساحة المخصصة للصور وازدادت المساحة المخصصة للكلمات وصغر الخط، أما الرسومات فهي مرتبطة بالنص كلياً، ويجب ترك مساحة غامضة في النص تفسرها الصورة، ومساحة غامضة في الصورة يفسرها النص، وبذا يجب على الرسومات أن تكمل النص لا أن تشرحه.

بشكل عام كتاب الطفل الجيد يبدأ مما يحتاجه الطفل وليس مما يحب الكبير أن يقدمه للطفل، يجب الحديث في كتاب الطفل من القلب لا من الرأس.

إذا رغبت في الكتابة عن شخص ليس من دينك أو جنسك أو عرقك... الخ يجب أن تقوم بالكثير من البحث للتعرف إلى هذه الشخصية، لأن الطفل لديه الثقة في الكلمة المكتوبة وبالتالي فإن الخطأ في المعلومة سيلازمه طويلا.

يجب الاستماع إلى حوارات الأطفال وطريقة نطقهم للجمل والكلمات، والتمرن على كتابة الحوارات بشكل يومي، ويجب إدخال التفاصيل الوصفية إلى الحوار لأن الطفل يحول الكلمات إلى صور.

لعل أفضل طريقة للتعامل مع الكتاب قبل نشره هو أن نقوم باختباره على مجموعة الأطفال في السن المستهدفة وأخذ آرائهم.

صورة المرأة في قصص الأطفال

روز شوملي مصلح

عندما أرسلت مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي قصتي «أين اختفت فلة»، لبعض رسامي قصص الأطفال، لاختيار أفضل رسم للشخصية الأساسية، تقدم أربعة من الرسامين والرسامات، ثلاثة منهم رسموا الشخصية الأساسية طفلة، ورسامة واحدة فقط رسمتها طفلاً كما هو النص.

لماذا هذا الالتباس؟ حتى لو افترضنا أن النص لا يشير بشكل واضح إلى جنس الشخصية، فلماذا هذا الإصرار أن تكون الشخصية الأساسية فتاة؟ من الواضح أن الدور أو السلوك الذي نتوقعه من الشخصية، هو الذي حدد جنس الشخصية. ولأننا نعتبر الطفلة هي أكثر رقة في التعامل مع القطط، وفي العطف عليها، فقد كان طبيعياً أن يحصل هذا الالتباس. خاصة أننا ننظر إلى الطفل الذكر، كمعذب للقطط وليس راعيها.

يمثل هذا الاختيار لجنس الشخصية موقفاً نمطياً سائداً في أدب الأطفال، ليس من حيث الصور والرسومات الإيضاحية فقط، بل أيضاً من حيث رسم الشخصية في النص، والذي يعكس نمطاً سائداً للنظرة للجنسين، تشكلت تاريخياً ضمن تقسيم للأدوار بني على أساس ارتباط المرأة بالدور الإنجابي والرعائي، وعالمها المقتصر على بيتها وأسرتها، في الوقت الذي يُترك المجال العام مفتوحاً على مصراعيه أمام الرجل، الأمر الذي أفرز نمطاً من المواصفات والسلوك التي ترتبط بكل منهما، أكان ذلك في مجال العمل المنزلي، أو الإنتاجي، أو الإبداعي، أو في مجال العمل المجتمعي.

ورغم ما تم إنجازه في مجال أدب الطفل، من حيث إعطاء صورة غير نمطية للطفلة الفتاة، ورغم ما قامت به الحركة النسوية في الوطن العربي، خاصة في فلسطين في مجال كسر الصورة النمطية السائدة عن دور الرجل والمرأة، إلا أن الصورة النمطية ما زالت هي الطابع الغالب على الشخصيات التي تتضمنها كتب الأطفال. وربما يكون الأخطر في أدب الأطفال، هو ما خاطب مرحلة الطفولة المبكرة، والتي تعتبر من حيث الأهمية أكبر بكثير من غيرها، باعتبار أنها تؤسس لما بعدها.

في هذه الصفحة، سوف أكتفي بتحليل قصتين تحليلاً معمقاً، من منطلق النص والصور التي تظهر بها الفتاة، في مقابل الصور التي يظهر بها الفتى. والقصتان هما «أنا لست شقياً»، للكاتبة صفاء عمير، و«هل أنت جبان يا برهان»، للكاتبة السويدية جونيلا بيرجسترم.

الشقاوة كصفة ملازمة للذكور

قصة صفاء عمير «أنا لست شقياً»، ترويها بصوت الطفل «الشقي»، كي تنفي التهمة عنه، باعتبار أن الشقاوة هي صفة طبيعية للمرحلة التي يمر بها الطفل، وأن حياة الطفل توازي اللعب، واللعب طريقه للاكتشاف، وهو إذ يفعل ذلك، قد يتسبب بأضرار أو بأذى للأطفال الآخرين. لكن لماذا لا تلعب ابنة خالته مثله، وهي طفلة هي الأخرى! الصورة الوحيدة التي نجد الفتاة تلعب مع الطفل الشقي دون إشكالات، هي صورة الغلاف، والتي تصور الطفل الشقي، وهو يجعل من نفسه عربة تركب عليها فتاتان، وهذا لم يرد في النص.

الطفل «الشقي»، يدافع عن نفسه بأنه ليس غبياً بل قوياً وذكياً ومحباً للعب والشقلبة. وفي كل الصور التي رسمتها الرسامة ريم بدر، نرى طفل الحكاية يلعب بالكرة، وهو كثير الحركة ويقلب الأشياء، ولا يعيدها إلى مكانها، وأنه حين يلعب مع ابنة خاله، تصرخ وتبكي هاربة منه. وفي الرسومات أيضاً، صورة الأب صاحب السلطة العليا، يؤنب الولد الشقي ويهدده بالضرب، وهنا أيضاً تبرز علاقة القوة، ليس فقط بين الولد والبنت، بل بين البالغ والطفل.

النص والصور تبين الطفل الشقي عدوانياً، وابنة خالته ضعيفة، سلبية تبكي بسببه، وتحتاج إلى من يحميها. ونراها تختبىء من الولد «الشقي» بطل القصة وراويها في حجر والدتها. ويتكرر مثل هذا الموقف للطفلة الفتاة في أكثر من مكان، حيث نجدها دائماً تمسك بأحد أو تختبىء خلف أحد. وبذلك تتشكل الصورة النمطية للفتاة، في مقابل الصورة النمطية للولد «الشقي». فهي الضعيفة التي لا تستطيع الدفاع عن نفسها. وتنتهي القصة بأمنيات الولد «الشقي» في لعبه الإيهامي، بأن يكون طرزان أو سوبرمان، ونراه يتسلق الأشجار.

صفاء اجتهدت من أجل أن تخلق شخصية تعبر عن ميول الطفل واهتماماته في مرحلة عمرية معينة، فهل توفقت في ذلك؟

ربما قصدت صفاء عمير في قصتها «أنا لست شقياً»، تصوير شقاوة الطفولة واعتبارها من سمات المرحلة التي يمر بها الطفل، والتي هي ضرورية لنضجه، لكن في تركيز الكاتبة على نوع واحد من اللعب، ساهمت في إضفاء مزيد من «الشقاوة» على الشخصية، بالمقارنة مع شخصية الطفلة الفتاة، التي بدت خائفة من عدوانية الطفل الشقي، وهي تحتمي خلف أمها أو أبيها تستنجد بهما. لماذا لا يلعب الطفل ألعاباً هادئة، أو لماذا لا نرى الطفلة الفتاة تلعب هي الأخرى، والتي هي في مثل عمر بطل القصة وراويها؟ الطفلة الفتاة بدت «أداة» للعب، وليس طفلة يحق لها أن تلعب. وهذه المفارقة ساعدت في إضفاء صفات النمطية الذكورية كالعدوانية على الطفل الشقي بطل القصة، وأعطته الحق كي يفعل ما يريد. وإذا ما أخذنا بعين الإعتبار أن الإناث يسبقن الذكور في مرحلة الطفولة المبكرة والمتوسطة عقلياً وجسدياً، نرى كم كان رسم الشخصيتين جائراً ونمطياً. تحضرني هنا قصة جنان ذات الجورب الطويل، المترجمة عن دار المنى، والتي جاءت لتكسر هذه النمطية. جنان طفلة قوية، ولكنها تساعد الأطفال الآخرين، وتستخدم قوتها ضد الشر. وربما تكمن عظمة كتاب جنان ذات الجورب الطويل في أنه جعل شخصية الطفلة الفتاة، مزيجاً من الجرأة والإقدام والشجاعة، مع كثير من الإبداع في رؤية الأمور وتجريد زيفها.

وكم كنت أتمنى لو أن الطفل «الشقي»، الذي يريدنا أن نفهمه، يعرف أن سقف حقوقه، هي حقوق الآخرين، ولا يترك ما يقلبه من أشياء على الأرض، كي تلتقطها أمه وتعيدها إلى مكانها.

وربما أخطر ما في النص، تجلى في دفاع الطفل عن نفسه، بأنه ليس شقياً وليس غبياً، كأن الغباء صفة مرادفة للشقاوة. وهذا الربط في العلاقة عائد إلى حد كبير إلى الصورة النمطية غير العادلة لأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، والتي سقطت منذ زمن، مع سقوط نظرية الذكاء الواحد.

الشقاوة، وجهة نظر أخرى

قصة «هل أنت جبان يا برهان؟»[1] من تأليف جونيلا بيرجسترم، وترجمة منى زريقات هنينغ، صدرت عن دار المنى في السويد، تعالج مشكلة العدوانية والشقاوة عند الأطفال الذكور[2] بطريقة مختلفة. برهان طفل عمره ست سنوات، يكره المشاجرة. يبتعد عن الأولاد حين يتشاجرون. ورغم ما يظنه الآخرون بأنه جبان، فهو يعرف تماماً أنه لا يحب المشاجرة. وعندما لا يستطيع برهان أن يتهرب من المشاجرة، يتظاهر بأنه يستسلم، فتنتهي المشاجرة بسرعة. وشخصية برهان ليست شخصية نمطية للذكور، وقد تعتبر شخصية برهان جبانة لو لم يكن قوياً. لكنه لا يستغل قوته من أجل إثبات قوته على الآخرين. برهان لا يهتم بما يقوله عنه الآخرون، وهم يحاكمونه من منظار نمطي. تقول جدته أنه أكثر طيبة من الآخرين، لكن برهان ينفي ذلك، لأن الطيبة بنظر الجدة هي ميزة سلبية. وهو يعتبر أن موقفه هو موقف من المشاجرة ذاتها، وليست بسبب طيبته أو جبنه، أو ضعفه كونه يستطيع أن يكسر قضيباً أو يحمل طبقاً كبيراً، أو يحمل رزمة ثقيلة. وفي الوقت الذي يحاول الأطفال الأشقياء الذين يريدون فرض سيطرتهم على الجميع، من خلال التغلب عليهم بالمنازلة، يعتذر برهان بحجة أنه لا يحب المشاجرة.

برهان طفل شجاع، لأنه ظل محافظاً على موقفه، وبرهان كان قوياً لأنه لم ينجرّ إلى الشجار، ولأنه أعلن ذلك دون خوف. «هكذا اعترف الأطفال فيما بعد، وهم يرونه يستكمل بناء صندوقه». هنا تأتي فكرة البناء عوضاً عن فكرة الشجار. وفي المساء، عندما يسأل برهان أبيه إذا ما كان يتشاجر مع الآخرين، يجيب الأب، «لم أفعل ذلك، لقد كنت أخاف قليلاً». عندها يدرك برهان مدى شجاعة أبيه فيقول، «إنها شجاعة منك حقاً أن تعترف بذلك».

صورة الطفل برهان، تنسجم مع صورة الأب من حيث الشجاعة في قول الحقيقة. وهذه صورة تغاير تماماً صورة الطفل «الشقي»، أو صورة الأب المرتبطة بالقوة والسيطرة.

الديموقراطية لا تتجزأ

من أجل أن يكون أدب الأطفال رائداً لا تابعاً في تغيير الصور النمطية السائدة، علينا ككتاب وكاتبات، رسامين ورسامات، أن نغوص في وعينا، ونسأل أنفسنا عن ممارسة هذا الوعي في الكتابة للأطفال، خاصة في النظرة للمرأة، وهل نقدم نماذج تشاركية في العلاقة بين الرجل والمرأة، أم أننا نقع في فخ تقسيم الأدوار حسب النموذج السائد، لكن بصورة معدلة؟ هل نقولب المرأة في دور وحيد؟ المرأة لها العمل المنزلي، وتربية الأطفال، وإن تمكنت من اختراق جدران المنزل لسوق العمل، فلمهنة تتناسب مع دورها المنزلي، أو لمهنة لها علاقة بهذا الدور كالتعليم مثلاً. وبالمقابل، الرجل يختار المهنة التي تتناسب مع «رجولته» حسب الفهم الإجتماعي. فهو مقبول كسياسي، ومقبول كفاعل في العمل المجتمعي، ومقبول ككاتب أو كرسام، أو كرائد فضاء، ولكن ليس كشريك في تربية الأطفال، أو في عمل المنزل. وربما تكمن عظمة جونيلا بيرجسترم، في أنها خلقت شخصية الفونس أو برهان كما ترجمته دار المنى إلى العربية، وجعلته يعيش مع أبيه، حيث يقوم الأب بدور الرعاية. وفي القصص التي اطلعت عليها، لم أجد إشارةً إلى الأم، مما يجعل تعليم برهان وتثقيفه وتوفير حاجاته الأساسية هي مسؤولية أبيه. ربما يكون مثل هذا الوضع يشكل صدمة لنا، للوهلة الأولى، باعتبار أننا لم نتعود على مثل هذا الدور للرجل، بخاصة أنه عرف اجتماعياً، بارتباطه بالمرأة. ولكن علينا أن نسأل أنفسنا، في كل مرة نرسم شخصيات قصصنا، هل هذه النماذج تكسر الصور النمطية أم ترسخها؟ علينا ككتاب وكاتبات مسؤولية التحرر من قيد النمطية، وعدم تكريسه، خاصة للأطفال.

نحن نطالب بالديمقراطية، فكم من الصور والنصوص تعبر عن مواقف ديموقراطية؟ كم من الصور بينت المرأة في موقع مساوٍ للرجل، أكان ذلك على صعيد الأسرة أو في العمل، أو في الحياة المجتمعية؟ الديموقراطية تتجسد بالعلاقات، فكيف نترجم علاقة أعضاء الأسرة بعضهم ببعض، بحيث نكرس فهماً ديموقراطياً للتربية؟ هل القرارات تشاركية مع باقي أفراد الأسرة، أم هي تعبير عن سلطة الكبير على الصغير، القوي على الضعيف؟ هل تأخذ الأم دوراً آخراً غير الخدمة في المنزل وتحقيق رفاه الآخرين؟ أم أننا سنظل نصور علاقة الرجل بالمرأة ضمن مقولة «هو يقرأ، هي تطبخ» نحن نفهم الإختلاف بين الرجل والمرأة من حيث الجنس، لكن هذا الإختلاف يجب أن لا يكون سبباً للتمييز في المجال العام، أو في المجال الخاص، أو في الأدوار. نحن مع مرونة الأدوار للطرفين، ومرونة الحركة بين العام والخاص.

النمطية نظرة اجتماعية متكاملة، فلا يمكن أن نتفادى الصورة النمطية للمرأة في الأدب، إذا لم يكن لدينا توجه ديموقراطي. وإذا لم نكن نؤمن إيماناً راسخاً بعدم التمييز على أساس الجنس واللون والعرق، الخ. ومن هنا، حتى لو درسنا وثيقة حقوق الإنسان، واتفاقية حقوق الطفل واتفاقية إلغاء كافة أشكال التمييز ضد النساء، دون إيمان أو قناعة، فلن نتناول مسألة الطفلة الفتاة دون أن نقع في اشكاليات النمطية.

طبعاً، الإيمان بالمساواة وتكافؤ الفرص، لا يكفي وحده من أجل أدب طفل جيد، ولكن لأغراض هذه الورقة، تم عزل العوامل الأخرى الضرورية لإنتاج أدب أطفال نوعي.

مشروع ريادي بين طاقم شؤون المرأة وتامر

قراءة لأدب الأطفال من منظور النوع الإجتماعي

بسمة البطاط

نتفق جميعاً على أهمية القراءة وضرورة تشجيعها، ومع تراجع معدلات القراءة بشكل ملحوظ، وتدّني الاهتمام بالكتاب، تنفرد مؤسسة تامر بحمل هذا العبء كاهتمام وحيد ورئيسي لديها، بَنت على أساسه علاقاتها مع الجهات المختلفة المعنية بذات الهدف، وتتبنى التشجيع على القراءة من منطلقات متعددة، من خلال استخدام آليات متنوعة للتشجيع على القراءة، مثل القيام بحملات وطنية على مستوى الوطن من خلال متطوعيها وشركائها، ولا ننكر هنا وجود جهود واهتمام من جهات أخرى رسمية أو غير رسمية بموضوع القراءة وإنشاء المكتبات، في نطاق جغرافي محدد، لكن تبقى ضمن اهتمام جزئي ومكملات لنشاطها الرئيس.

الدور الريادي لمؤسسة تامر، تميز بتطوير خدماتها المقدمة وتحسين جودتها، بالعمل الدؤوب مع كادرها ومتطوعيها، من هنا جاءت هذه الشراكة مابين مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي وطاقم شؤون المرأة في مشروع «مراجعة ما نعرف»، وبتمويل من مؤسسة «حركة من أجل السلام» الإسبانية. ونفذ المشروع في منطقتين جغرافيتين غزة والخليل.

يهدف المشروع بشكل رئيس، دمج مفاهيم النوع الاجتماعي في الأدب، من خلال تدريب المكتبيين/ات على مفاهيم النوع الاجتماعي، ودمج مفاهيم النوع الاجتماعي في رواية القصة والتعامل مع الأطفال و قراءة الأدب من منظور النوع الاجتماعي، وذلك بتنفيذ ورش عمل مع الأطفال خلال فترة التدريب.

على مدار الأشهر الثلاثة، خصصت خمسة أيام متفرقة من التدريب للمكتبيين/ات، بحيث تعطي الفرصة لهم لرصد المفاهيم وملاحظة مظاهر التمييز وتحليل الواقع في تعامل الأطفال وردود أفعالهم، تجاه الأنشطة بعد كل تدريب. وهكذا فإن المعلومات والتحليل الوارد في هذه الورقة، هو نتاج العمل مع المكتبيين/ات، سواء أثناء التدريب أو اللقاءات الفردية، وأثناء أدائهم الأنشطة وروايتهم للقصة وعملهم مع الأطفال.

اعتمد التدريب على تحليل البيئة المؤثرة على عمل المكتبيين/ات في عملهم من نواحي عديدة، وتأثيرها عليهم، حيث توصل المكتبيون/ات خلال فترة التدريب إلى تنفيذ ورش عمل مع الأطفال، ويمكن تركيزها بما يلي: الأهل والواقع الاجتماعي والاقتصادي للأطفال، المدرسة ومكونات العملية التعليمية «من مناهج وأساليب ومدرسين ومرشدين، الواقع السياسي وظروف تواجد الاحتلال وارتفاع مستوى العنف، تحديداً في بعض مناطق عمل المشروع، كالبلدة القديمة في الخليل، سيطرة العادات والتقاليد القائمة على الذكورية، وتدني مكانة المرأة، المكتبيون والمكتبيات أنفسهم، والخلفيات التي ينحدرون منها، الأطفال بمختلف فئاتهم، من حيث العمر والجنس والوضع الاجتماعي، طبيعة المكتبات والكتب والوسائل والتقنيات المتوفرة فيها».

استند هذا التحليل إلى العوامل المؤثرة على عمل المكتبيين/ات، ونستطيع تقسيمها لجزأين: عوامل خارج السيطرة الحالية لعمل المكتبيين، وتم استبعادها في أجواء التدريب، وعوامل تحت السيطرة، يمكن العمل من خلالها وتطوير المهارات، وتمثلت بالمكتبيين/ات، الأطفال، المكتبات ومكوناتها، الأساليب والوسائل.

المكتبيون والمكتبيات متأثرون ومؤثرون

لوحظ من خلال التدريب، اختلاف التوجهات والمرجعيات الفكرية والاجتماعية للمكتبيين/ات كأشخاص، لا يمكن اعتبارهم مكوناً متجانساً أو موحداً حول الرؤية تبعاً للمؤسسات العاملين بها. فهناك تنوع واختلاف بين المكتبيين/ات، من حيث الخبرة والاهتمام، وينعكس أداؤهم ورؤيتهم والعلاقة مع الأطفال رواد المكتبة، والطريقة التي يتبعونها من استخدام أساليب التنوع والإبداع في الرواية، والقدرة على إطلاق طاقات الأطفال وخيالهم، للتعبير عن ذاتهم وتحفيز التفكير النقدي لديهم.

فرواد المكتبات من الأطفال، يجب التعامل معهم على أساس التكافؤ والتقدير، وليس باعتبارهم متلقين للمعلومات والأوامر والوعظ. من هنا تبدو الحاجة ملحة لتطوير مهارة رواية للقصة، بما يوفر المتعة ويشجع على القراءة، وينسج علاقة دائمة بالمكتبة والكتاب، وعلاقة مميزة بين الطفل والمنشط، تقوم على الاحترام والتقدير.

تشعبت أنماط العمل مع المكتبيين/ات، من خلال مراجعة مفاهيمهم من منظور النوع الاجتماعي ومنظومة حقوق الإنسان والمواثيق الدولية المختلفة، بما فيها «سيداو، واتفاقية حقوق الطفل»، وتقبل الآخر باختلاف الدين أو التوجه السياسي، وركز التدريب على ضرورة التوسع في فهم سيكولوجية الطفل ونفسيته والتعبيرات التي يطلقها، سواء المباشرة مثل التعبير عن الذات والحوار، أو غير المباشرة، من خلال الرسم والتصرفات، وآليات التعامل مع تلك التعبيرات.

وسط كل هذا، علينا أن لا نغفل عن الاعتناء باحتياجات المكتبيين/ات أنفسهم، سواء كانت مادية أو معنوية، وإيجاد جو تضامني وداعم ومتفهم، للضغط الذي يتعرضون له،

كما أشارت إحدى المتدربات: «نحن بحاجة الى تفريغ نفسي».

الأطفال رواد المكتبات، والعنصر الأكثر تعقيداً، لهم سمات خاصة ومتنوعة، حيث يأتون من بيئات وتوجهات متنوعة ولأسباب مختلفة إلى المكتبات والأنشطة، متعرضين لتأثيرات الأهل والمدرسة والأصدقاء في بناء مفاهيمهم حول المجتمع والعلاقات فيه، خصوصاً علاقة الرجل والمرأة (الولد والبنت) ، المعلم والطالب، الأبناء والآباء، وهي في الغالب علاقة مبنية على أساس القوة وليس الندية والتكافؤ، وعلى الأوامر والوعظ وليس الحوار والتفاهم.

قدوم الأطفال إلى المكتبة له أكثر من سبب، غالبيتهم يأتون للاستمتاع بالأنشطة والقراءة، لكن هناك العديد منهم يحضرون إخوة وأخوات بناء على طلب الأهل، لعدم وجود مكان آخر لتمضية وقت الفراغ لحين تفرغ الأهل، ويتطلب هذا من المكتبيين/ات، ابتداع وسائل للعمل مع أولئك الأطفال، ودمجهم في الأنشطة المختلفة، جدير بالذكر أن الأطفال وخصوصاً في منطقة عمل المشروع، يتعرضون الى ارتفاع العنف بشقيه، المجتمعي، والعنف المباشر من الاحتلال، وبالتالي يزداد ميلهم إلى العنف كنتيجة، تظهر خلال الأنشطة، ونلحظ ازدواجية وتعدد للقيم التي يتلقاها الأطفال، كقيم حقوق الإنسان والعدالة والمساواة وتقبل الآخر، وتضارب مع الممارسات من قبل البالغين، سواء المدرسين أو الأهل، أو حتى المكتبيين/ات.

في تتبع جو المكتبة كمكان فيزيائي، وعلى اعتبار أن الكتاب هو المكون الرئيسي للمكتبة، والأدوات الباقية من تقنيات الكترونية وغيرها وسائل إضافية لإثراء المكتبة والكتاب، يبدو العنصر الأهم في العملية، هو كيفية توظيف تلك الوسائل للتشجيع على القراءة من قبل المكتبيين/ات، وجعل المكتبة مكان جاذب للأطفال. فمن المهم الترتيب والنظافة والألوان، العاملين/ات والإدارة وحجم المكتبة وعدد الكتب المتوافرة، كمؤشرات مهمة لإطفاء طابع الراحة والجذب.

خلال العمل في المشروع والتجوال في المكتبات، نجد تفاوتاً هائلاً بين مستوى المكتبات المتوافرة في مناطق المشروع، كالبلدة القديمة في مدينة الخليل، الخاضعة لسلطة الاحتلال، والتي يتواجد فيها المستوطنون بكافة مضايقاتهم اليومية، والرعب الذي يثيرونه لدى الأطفال بشكل يومي، حيث نجد المكتبة متواضعة جداً، بما لا يتناسب مع حاجات الأطفال وإقبالهم واندفاعهم للأنشطة، للتفريغ من حجم الضغط والعنف الذي يواجهونه، وبين المكتبات في المنطقة الخاضعة للسلطة الوطنية الفلسطينية. لوحظ عدم انسجام للمكتبيين/ات وإدارات المكتبات والعاملين فيها، وضعف المتابعة لصالح تطوير الأداء، واقتصار المتابعة على الجوانب الفنية، بعيداً عن جوهر الأداء.

تنوع الأساليب والوسائل يقود لنتائج مبدعة

نتاج العمل المبدع مع الأطفال، لا يرتكز إلى الوسائل البسيطة، والقدرة على الابتكار وتوظيف المحيط والبيئة والمهارات لدى المكتبيين، سواء الذاتية أو المكتسبة، من تدريبات وخبرة في العمل، ومع الحاجة إلى تطوير المهارات إلى حد ما، فإن الأهم هو القدرة على توظيف المهارات الحالية، وصياغة علاقة مع الأطفال أرحب وأكثر اتساعاً، باتجاه الفرح واللعب وإطلاق العنان لخيالهم الغني. وهنا نجد رحابة الوسائل والأساليب الممكن استخدامها، فهي تبدأ ولا تنتهي، كتقمص الأدوار والتمثيل، الرسم، الغناء، استخدام الدمى والأقنعة والوجوه، اللعب، المسرح، الكتابة الإبداعية، إعادة صياغة ورواية القصة واقتراح النهايات والأسماء المختلفة.

الأدب سواء للأطفال أو الكبار، هو نتاج الثقافة السائدة للكتاب/ات، وعليه، وفي مجال تتبع المجموعة المتداولة من إصدارات مؤسسة تامر الأدبية، من قصص وكتب مختلفة، مع ضرورة الملاحظة والأخذ بعين الاعتبار، أن محتويات الكتاب وقيمته، لا يجب أن تحاكم استناداً الى مفاهيم النوع الاجتماعي وعدم التمييز فقط، ويجب الإشارة إلى أن أية ملاحظات ترد في هذه الورقة، إنما جاءت في سياق تخصصها والهدف من المشروع، وعليه أشير إلى الملاحظات ضمن محاور عامة، استناداً لهدف المشروع لدمج مفاهيم النوع الاجتماعي في الأدب، أشير للملاحظات التالية:

١-هناك مجموعة من القصص مباشرة في طرح مفاهيم النوع الاجتماعي، وهي تقدم الواقع بشكل مشرق إلى حد ما، وإن كانت تحاول تقريب القصة إلى الواقع المعاش، والظروف التي يعيشها الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال، وتعيد تقسيم الأدوار بما يلغي التمييز ضد النساء والفتيات، وتقدم الحاجات استناداً الى الحقوق، وليس على قاعدة الجنس، والأهم تفاوت تقبل الأطفال للقيم المطروحة لاختلاف واقعهم المعاش والثقافة المجتمعية المصدرة لهم ذكوراً وإناثا، ناهيك عن الموقف المسبق للمكتبيين/ات من موضوع النوع الاجتماعي قبل بداية المشروع، إلى حد اعتباره تطبيع، حسب إحدى المتدربات في الجلسة الأولى للتدريب، ورغم التغيير الكبير في هذه المواقف إيجابياً، إلا أنه غير كاف من حيث الوقت للدخول في التفاصيل ومنهجيات العمل، للوصول إلى أفضل السبل لإحداث التغيير، عبر الممارسة للحقوق والقيم وليس تدريسها.

٢- مجموعة أخرى تطرقت إلى قيم عامة، أبطالها في العادة ذكور ودور النساء تقليدي، وهي بحاجة إلى إثارة التساؤلات والحوار وعكس الأدوار والنقد من قبل المنشطين/ات مع الأطفال.

٣- قصص تقلب المواقف المسبقة تجاه أشخاص أو حيوانات وأدوارهم المعتادة، ومواجهتهم لخوفهم وتغيير مواقف الآخرين بناء على ذلك، وهي بحاجة إلى جهد خاص من المنشطين لاستكشاف عوالم الأطفال وتقبلهم لذاتهم ومواجه ضعفهم وخوفهم، وتطوير استعدادهم لتغيير الأدوار كذكور وإناث.

٤- قصص تفتح آفاق الأحلام والأمنيات، وتتيح مساحة للخروج من الواقع الصعب، وأحيانا تأتي بنهايات تحقق الحلم، وهي جميلة فنياً وقريبة إلى الروح ورغباتها، خصوصاً لليافعين/ات، والمهم في التعامل معها من خلال إطلاق خيال الأطفال وأحلامهم.

٥- بعض القصص تطرح إشكالية العلاقة بين البالغين والأطفال، كاللعب مثلاً أو اتخاذ القرار، وهي بحاجة لطرح حلول وإيجاد بدائل، لتلافي إحساس الطفل بالنبذ أو الكره، وتتطلب حساسية عالية من المنشطين للمفاجآت، كفقد أحد الوالدين أو تعرض الطفل المتلقي للحكاية للعنف في يومياته .

ملاحظات عامة حول التدريب ولقاءات المكتبين/ات والأطفال ضمن المشروع:

ليس هناك نظام يحكم تقبل الأطفال للمحتوى أو الألوان أو الرسوم، وهم يختلفون كثيراً، ويتفقون أحياناً، وأرصد هنا بعض تعبيراتهم كما جاءت حول الرسومات في إحدى القصص (طفل قال: « لو أنهم لونوها أحلى، وطفلة قالت: «لأهيك أحلى») . بعض المنشطين يفترض دلائل مسبقة للأشياء، مثل الألوان ودلالاتها، ويسقطها على الأطفال. النهايات لأحدى القصص وافق عليها البعض، والآخرون رغبوا بنهاية أجمل. في العادة الأطفال يقترحون أسماء متعددة للقصص. ينحصر بعض المنشطين في روايتهم للقصة في إطار تعليمي يثير الملل. لوحظ غياب للقصص الشعبية في الجيل الحالي، سواء منشطين أو أطفال، لغياب العلاقات الأسرية ودور الأجداد في روايتها، مع وجود التقنيات الحديثة من تلفاز، حاسوب..... الخ.

التوصيات

تصميم دراسة لتحديد الاحتياجات للمنشطين بوسائل متنوعة، من أهمها استطلاع آراء الأطفال. تدريب موسع للعاملين مع الأطفال، على المحاور المختلفة لعملهم، رواية القصة، أساليب التعامل مع الأطفال وفهم سيكولوجيتهم، الوسائل والأساليب وطرق استخدامها، وإعادة قراءة الرواية الشعبية من منظور النوع الاجتماعي. إيجاد أنشطة ترفيهية للمنشطين، وتلبية رغباتهم والتقدير والمكافئة لجهدهم بنظام حوافز مادية ومعنوية.

العمل على نظام إداري يضمن ثبات المنشطين لدى المؤسسة.

إيجاد نظام تقييم بوسائل وآليات مختلفة مع الأطفال، المؤسسات، الأهالي، المعلمين. العمل مع وسائل الأعلام، لتغيير الصور النمطية، وتطوير البرامج المقدمة للأطفال. توسيع نطاق الحملات الوطنية للتشجيع على القراءة من قبل مؤسسة تامر ودائرة المشاركين فيها. إيجاد نظام حوافز ومسابقات بالشراكة بين المدرسة والمكتبة.

استهداف معلمي اللغة العربية، من خلال ورشات عمل، لتبني فكرة التشجيع على القراءة، وإدماج مفهوم النوع الاجتماعي في نقد المنهاج والأدب.

مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي

رحلة عطاء وتميز في تمكين الفتيان والشباب

خاص - صوت النساء

منذ تأسيسها في العام ١٩٨٩، عملت مؤسسة تامر لبناء على امكانات المجتمع الفلسطيني، كما أنها لطالما آمنت بأن المجتمع يكون متيناً ومتماسكاً إلا إذا توفرت للأجيال الناشئة فرصة للتعبير والتعلم. لهذا عملت المؤسسة على وضع جهودها ومواردها لمساعدة الأطفال واليافعين في الحصول على المعرفة على الرغم من كل الصعوبات والظلم الذي يواجهونه كل يوم لكونهم فلسطينيين.

إن السنوات الطويلة للاحتلال الإسرائيلي، والإغلاقات المستمرة للمدارس والجامعات، والمشاكل النفسية التي راكمها الأطفال على طول سنوات نشأتهم، وندرة الكتب التي تستهدفهم وتحترم مشاعرهم وأحلامهم وتحفز خيالهم، جميعها وضعت المؤسسة وجهاً لوجه أمام الحاجة الطارئة والملحة إلى توفير كل ما يمكن توفيره من وسائل لتعويض الأطفال عن خسائرهم ومنحهم بدائل تجعل حياتهم ممكنة وقابلة للتحمل.

مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي مؤسسة وطنية غير ربحية تهتم بالتعليم المجتمعي، تأسست في القدس عام ١٩٨٩ استجابة لحاجة المجتمع الفلسطيني الملحة لاكتساب وسائل ناجعة تساعد في التعلم والإنتاج في ظل ظروف اجتماعية واقتصادية صعبة خلقها الاحتلال الإسرائيلي.

تتمحور فلسفة المؤسسة حول خلق أجواء تعلمية في كافة المواقع من خلال التشجيع على القراءة والإبداع والإنجاز وتحويل المعرفة إلى منتوجات ثقافية، كما والتركيز في التعليم غير الرسمي على فئة الفتيان والفتيات لأهمية هذه الفئة في عملية البناء على المستويات المتعلقة بالنمو والتطور المجتمعي، وتشجيع تكوين مجموعات صغيرة نابعة من مبادرات شخصية وتوفير شبكات اتصال فيما بينها.

يتواجد مقر المؤسسة الرئيسي في مدينة رام الله ولها فرع في مدينة غزة، غير أن مؤسسة تامر حاضرة في كافة مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة من خلال الأنشطة المختلفة التي تنفذها فيها عبر شبكة من منسقيها الميدانيين المنتشرين في كافة أرجاء الوطن.

حملة تشجيع القراءة في المجتمع الفلسطيني

انطلقت حملة تشجيع القراءة عام ١٩٩٢ من أجل المساهمة في بناء مجتمع قارئ يساهم في مواجهة التحديات الكثيرة التي يعيشها المجتمع الفلسطيني، وأهمها الإحتلال الإسرائيلي. وكما أن المؤسسة تعتبر عملية البناء على الخبرات والتجارب المتراكمة بين أفراد المجتمع ركيزة لها في العمل المجتمعي، فإن التركيز على عمليات التعلم والنمو الذاتي لمكونات المجتمع الفلسطيني حافظ على استمرار روح الحملة وفلسفتها في تعزيز الهوية الفلسطينية عبر السنوات. وتنبع أهمية حملة تشجيع القراءة بما تسهمه في خلق بدائل للتعلم ولتعزيز الطاقات الكامنة في المجتمع الفلسطيني. فتهدف الحملة إلى تشجيع عادة القراءة والكتابة والتعبير بين الأطفال والفتيان والفتيات، كما وإلى تعزيز الإكتشاف والبحث والمعرفة والإنتاج بين الأطفال والقطاعات التي يصب عملها في تعزيز ثقافة الطفل الفلسطيني.

تمتد حملة القراءة طوال العام لتشمل مجموعة من الفعاليات التي تصب في شعار واحد.

اسبوع القراءة الوطني

وينظم في الأسبوع الأول من شهر نيسان كل عام، يشارك في التحضير لهذا الأسبوع الأطفال والأهالي من كافة المكتبات المدرسية والمجتمعية، والمراكز الثقافية والجهات التي تعنى بالطفل الفلسطيني على شكل لجان وهيئات محلية داعمة للحملة. وعند الإنطلاق، يشارك في الفعاليات ما يقارب ١٠٠ ألف طفل/ة، شاب/ة سنوياً وأهاليهم، بالإضافة إلى ما يقارب ١٣٠ مكتبي/ة، والكتاب والرسامين ومندوبين عن الوزارات المعنية بالطفل الفلسطيني، يزداد عددهم سنوياً.

مسابقة كتابي الأول: منذ عام ١٩٩٦ تنطلق هذه المسابقة في اليوم الأخير من أسبوع القراءة، حيث يتم تشجيع المشاركين في الحملة على التعبير الكتابي عن ما يدور حولهم. وبعد مراجعة كتابات الأطفال ورسوماتهم، فإن المؤسسة تقوم بنشر القصص في كتاب توزعه على الأطفال المشاركين. وتهدف المسابقة إلى مشاركة الأطفال ما يعبروا عنه مع مثلائهم بين أطراف الوطن في ظل صعوبة التواصل التي يخلقها الإحتلال الإسرائيلي، إضافة إلى أنها توفر فسحة مستمرة ليستمع الكبار لما يريد أن يقوله الصغار.

حملة اقرأ لي أبي: منذ العام ٢٠١٠ تنطلق هذه الحملة في ٣ أيام من فصل الخريف، يكون التركيز فيها على تشجيع مساهة الآباء في دعم توجهات القراءة لدى أطفالهم. إن الظروف الإجتماعية والإقتصادية قد أثرت سلباً على دعم عملية التعلم بين الآباء والأمهات، حيث باتت الصورة النمطية تستثني مساهمة الأبوة في دعم مسيرة المعرفة لابناءهم وبناتهم.

حملة أنا تبرعت بكتاب: منذ العام ٢٠٠٣، تنظم هذه الحملة لتعزز قيم العطاء والتطوع والمعرفة بين الفرق الشبابية في المؤسسة وفي المجتمع بشكل عام. يجوب الشباب الحارات ويتواصلون مع الأهالي في بيوتهم وأماكن عملهم من أجل حثهم على التبرع بالكتب من أجل دعم مكتبات وانشاء أخرى في الأماكن المختلفة.

فرق النخيل: ساهم وجود مجموعات الشباب التطوعية « النخيل» بين اطراف الوطن في انشاء فريق شبابي تحت مسمى «يراعات» أي الأقلام الصغيرة، في العام ١٩٩٢. تعتبر هذه الفرق جبهة داعمة لعملية التعلم داخل المكتبات ومحركة أساسية لعملية التعبير من خلال القراءة والكتابة. بدأ الفريق كتاباته من خلال صفحة في جريدة القدس « صفحة نخلة الشبر»، وتطورت بعد ذلك على شكل جريدة مستقلة تصدر كل شهرين مع صحيفة الأيام اليومية، إلى يومنا هذا. كما وتشكل فريق « أصوات من فلسطين» بعد الإجتياح الإسرائيلي في العام ٢٠٠٢ حيث وجد الشباب حاجة للتعبير عن أنفسهم بلغة يفهمها العالم، فاختاروا اللغة الإنجليزية. أما فريق «سرب»، فيضم سربا من الشباب ممن لهم اهتمامات متعددة في التعبير مثل التمثيل والتصوير والغناء، فيشارك أعضاء هذا الفريق التعبير سويا عن ظواهر عامة في المجتمع الفلسطيني والتي تمس واقعهم.

تطوير أدب الأطفال

وفي مجال أدب الأطفال، فقد باتت المؤسسة عنواناً لأدب الأطفال واليافعين في فلسطين، ففي سعيها من خلال حملة القراءة الى تعزيز ثقافة الطفل الفلسطيني، شددت في إصداراتها على أهمية توفر كتاب ممتع وذو جوده عالية للطفل. كما وطورت المؤسسة منذ عشر سنوات اهتمامها بالموضوع، فأنشأت مركز موارد أدب الأطفال الفلسطيني بالتعاون مع وزارة الثقافة الفلسطينية والذي يشكل مرجعاً للأدبيات حول أدب الطفل وثقافته والذي يشكل مرجعية موثقة لعمل المؤسسة في خلق بيئة آمنة داخل المدارس ومراكز صديقة للطلائع في المجتمع. ويشكل المركز حالياً مورداً للعديد من المكتبات والمراكز التي تعمل معها المؤسسة في برامجها والتي مكتباتها مازالت في طور الإنشاء.

وحدة النشر

عملت وحدة النّشر في مؤسّسة تامر للتّعليم المُجتمعي كما في كلّ عام على عددٍ من الإصدارات تنوعت بين القصص المصورة للأطفال وروايات وقصص لليافعين. كما عملت على ترجمة عدد من الأعمال الأدبية من لغات عديدة إلى اللغة العربية.

ولكنّها في هذا العام، لم تكتفِ المؤسسة هذا العام بإصدار منشوراتها بالشكل التقليدي، أي في كتب، ولكنها قامت أيضاً بتحويل مجموعة من إصداراتها وإصدارات دور نشر فلسطينية أخرى إلى كتب للمكفوفين بلغة بريل، تم توزيعها على المؤسسات والمدارس والمراكز والجمعيات التي تعمل مع هذه الفئة، بالإضافة إلى تحويل عدد من إصداراتها إلى كتب صوتية للمكفوفين، وأخرى صوتية مرئية مترجمة إلى لغة الإشارة الفلسطينية، تم توزيعها على كل المؤسسات والمدارس التي تعمل مع فئة الصم. كما تم توزيع الكتب الصوتية والمرئية ضمن شبكة مكتبات أدب الأطفال بهدف إيصال الأدب إليهم بطرق مختلفة، ولزيادة وعيهم وإدراكهم فيما يتعلق بذوي الاحتياجات الخاصة من الصم والمكفوفين، وتعريفهم على طرق كل فئة في التواصل والحصول على المعرفة.

شبكة المكتبات المجتمعية

شهد العام ٢٠١٠ انطلاقة عملية لشبكة مكتبات الأطفال، وهي عبارة عن إطار يضم ٧٠ مكتبة في فلسطين التي تضم جزئيا أو كليا قسما خاصا بأدب الاطفال، بحيث تخدم المكتبات جمهور الأطفال واليافعين (من سن ٦-١٨ سنة)، وتتوزع المكتبات على محافظات رام الله، جنين، قلقيلية، نابلس، طولكرم، سلفيت، طوباس، بيت لحم، الخليل، وأريحا، وغزة وخانيونس ورفح.

تسعى الشبكة إلى تمكين المكتبات القائمة والمكتبيين من خلال دعمهم بالكتب والتدريبات وأدوات العمل اللازمة ومحاولة تذليل ما يمكن من العقبات التي تعرقل عملهم وتقدمهم للوصول بهم في النهاية الى مرحلة تصبح فيها نقاشات الكتب في مكتباتهم عملية اعتيادية ويومية يقوم بها كل مكتبي ضمن مهامه ووظيفته دونما انتظار لبرنامج من تامر أو غيرها من المؤسسات للقيام بذلك.

مركز الموارد

أنه المورّد لكل ما هو جديد في أدب الأطفال من إصدارات محلية وعربية وعالمية مترجمة أو غير مترجمة، ومن أبحاث ودراسات تتعلق بهذا الأدب، بحيث يكون المكان الذي يزود المهتمين والدارسين والباحثين بكل المواد اللازمة لدراساتهم، والتي يعمل على تقديمها بشكل دائم إلى مكتبات الأطفال الموزعة في مدن فلسطين المختلفة، وإلى العديد من المدارس والنوادي والجمعيات الخيرية التي تتعامل مع الأطفال.

وتنظر مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي إلى مركز الموارد باعتباره العمود الفقري الذي ترتكز عليه، والحاضن لمشروع أدب الأطفال من خلال الورشات الدّورية التي تعقد فيه، سواء كانت لكتّاب أدب الأطفال أو الرسامين أو المحررين أو المكتبيين. وهو بذلك حلقة الوصل بين المؤسسة والمجتمع الفلسطيني، والجهة التي تقدم الجزء الأكبر من الخدمات المباشرة للمعنيين في أدب الأطفال داخله.

كما ويستفيد مركز موارد أدب الأطفال من خبرات وتوجيهات لجنة أدب الأطفال التي تضم عدداً كبيراً من أبرز المهتمين والكتاب والرسامين والمترجمين في أدب الأطفال في فلسطين، وذلك من خلال مجموعة من اللقاءات معها لتقييم وضع مركز الموارد والورشات التي تعقد فيه، وتقديم الاقتراحات التي تساعد على تطويره والبناء على ما هو موجود فيه.

قيم تبني عليها المؤسسة قناعاتها

كما تسعى المؤسسة إلى البناء على الطاقات الكامنة في المجتمع، فإنها تعنى بالبناء على احتياجات ومصالح داخل المجتمع الفلسطيني والتي تسهم بشكل رئيسي في التغيير الإجتماعي. وتعتبر قيمة الإختلاف على مستوى المجتمع الفلسطيني أحد أهم الركائز التي تبني عليها مؤسسة تامر قناعاتها. فتسهيل مشاركة الأطفال من خلفيات جغرافية مختلفة والأطفال ذوي الإحتياجات الخاصة والأطفال من كلا الجنسين في نقاشات الكتب التي تنظمها المكتبات في المناطق المختلفة، إنما تساهم في ارساء قاعدة للحوار تبنى على امكانية الإختلاف في وجهات النظر، لكنها تعتمد الحق في التعبير كمدخل رئيس لها.

وإذا تعتبر المشاركة والمؤازرة وتوفير الفرص من أهم منطلقات عمل المؤسسة، فإنها تطال احتياجات ومصالح الذكور والإناث على حد سواء. وحيث أن الصورة النمطية السائدة تحتم فرص تواصل أكبر بين الإناث والكتاب عن تلك المتوفرة بين الذكور والكتب، على اعتبار الظروف الإجتماعية التي توفر حرية أكبر للذكور للتنقل والمشاركة، إلا أن البناء على الواقع المتاح يساهم في دعم أكبر لفرص التعلم والتمكين الإجتماعي بين الذكور والإناث والتي من شأنها المساهمة في خلق قاعدة ضغط متينة على تغيير الأنماط السائدة. وإن توجه المؤسسة للمدارس والمكتبات المجتمعية من شأنه الدفع باتجاه مشاركة أكبر للذكور في عملية التعلم والتي تساهم أيضا في دعم قاعدة التمكين الإجتماعي بين الأطفال واليافعين. وفي سياق مساند، فإن المؤسسة تقوم من خلال منهجية نقاش الكتب وتفعيل اساليب التعبير حولها بدعم فرص الحوار الفعال والبناء تجاه قيم هامة داخل المجتمع كحرية التعبير والمساواة والثقة. كما وأن فرص الكتابة والنقاش تخلق لدى مجموعات الأطفال والشباب من شأنها في الكثير من الأحيان أن تعكس الصور النمطية عن الذكور والإناث في المجتمع، فجريدة يراعات مثلا، توفر مساحة للفتيان والفتيات للتعبير في مجال الكتابة والتصوير والرسم والقيادة على اعتبارها مساحات غير محصورة على جنس معين دون الآخر. كما أن توجه الجريدة لكافة فئات المجتمع ومن بينهم اليافعين واليافعات والأهالي وصناع القرار يسهم بشكل هام في استعراض طاقات اليافعين واليافعات على اساس يحترم المساواة وتكافؤ الفرص وحرية التعبير والتي تدعم التوجهات الإجتماعية والسياسات العامة التي توضع في سبيل التغيير الإجتماعي.

مشروع «مراج

شراكة مميزة بين طاقم ش

مقدمة:

اللغة مؤنثة، والثقافة مؤنثة، والمجتمع مذكر، فأيها المحايد وأيها المتحيز؟ تعكس اللغة صورة المجتمع، فاللغة منذ تخلقها لم تكن من صنيع الفرد، وإنما هي مواضعة جماعية يتواطؤ على تمثلها الأفراد، فهي ظاهرة جماعية. والمرأة نصف المجتمع، وهذا ما يجعلنا نتساءل هل كانت اللغة مرآة للمرأة؟ وهل أنصف المجتمع نصفه؟ واللغة كالكائن الاجتماعي تنمو مع نمو المجتمع ولكن المجتمع مثقل بالإرث الثقافي المقولب الذي وضع المرأة في قوالب دونية عن الرجل، عبرت عنها اللغة. ولفهم ما نرومه من الكلام يتعين العودة إلى المعطيات الاجتماعية الخلفية التي تميز الفئات الاجتماعية والتي توظف السلوك اللغوي في مناشط الحياة المتعددة. إذ إن هذا السلوك مطية الأفراد في حياتهم العامة والخاصة، وهو المرآة الكاشفة عن هوية الأفراد وبيئاتهم وفئاتهم المختلفة.

إن اتساع الهوة في الخصائص اللغوية التي تميز الجنسين يتناسب تناسباً طردياً مع التواصل والمشاركة، فكلما حضرت المرأة في المشهد اليومي إلى جانب الرجل قلت الاختلافات اللغوية بينهما.

في هذه القضية الشائكة (اللغة، والنوع الاجتماعي) كان هذا المشروع، رحلة ممتعة في عوالم اللغة وتحديداً في أدب الطفل من جانب، والمجتمع الإنساني والإرث الثقافي والاجتماعي من جانب آخر، الذي يسبب ضغطاً اجتماعياً ويؤسس»بنية جنسوية». يتابع المشروع النوع الاجتماعي عبر قصص نشرت خلال عدة سنوات من جانب مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، يتحرى فيها وفي لغتها وعوالمها مدى اعتنائها بصورة المرأة والأدوار التي تظهر في القصة (أم،بنت،أخت، موظفة، ....وغيرها). ولا يقف عند قراءة القصة، بل حكي القصة، والكتابة الإبداعية، والدراما. في محاولة لرصد الفكرة في الوعي واللاوعي، وأثرها على السلوك الواعي واللاواعي عند الأطفال من سن (٨-١٢).

المشروع:

لقد تم تنفيذ مشروع «مراجعة ما نعرف» بالشراكة بين طاقم شؤون المرأة ومؤسسة تامر للتعليم المجتمعي بتمويل من المؤسسة الاسبانية «حركة من أجل السلام « MPDL»

الهدف من المشروع:

- تشجيع الأطفال في غزة على ارتياد المكتبات والقراءة والاستفادة من المكتبات.
- استيعاب مفهوم الجندر ودمجه بالأدب من خلال قراءة الكتب والفن التعبيري بشكل جندري.
- رصد التغيرات على سلوك الأطفال ما بعد الأنشطة المنفذة وعلاقة التغيير باحتياجات وممارسة النوع الاجتماعي.
- تقييم العمل عند المتدربين/ات والأطفال قبل وبعد التدريب وملاحظة التغييرات التي تحدث على أسلوبهم/ن بالعمل من خلال قراءة القصص وحكيها والكتابة الإبداعية والدراما، وفي تعاملهم/ن مع الأطفال وتوجيههم/ن بعد تلقيهم/ن التدريب المتعلق بالجندر والأدب .

الفئة المستهدفة:

مكتبيون عدد (٢٠) مشاركاً، مقسمون إلى مجموعتين: (١٠) مكتبيون/ت من مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، (١٠) مكتبيون/ت من خمسة مكتبات في خمس مناطق، وهم: مركز البرامج النسائية في البريج ورفح، جمعية أجيال للإبداع والتطوير، وجمعية العنقاء للتنمية المجتمعية، جمعية العطاء الخيرية.

الفئة المستهدفة من قبل المكتبيون:

الأطفال من سن (٨-١٢) سنوات وهم فعلياً من يتم تنفيذ الأنشطة عليهم بشكل مباشر داخل المكتبات، في كل ورشة من ١٥-٢٠ طفل/ة على أن يتم الالتزام بعدم تغيرهم خلال فترة المشروع.

مدة المشروع:

(٤٨) نشاطاً على مدى (٥) شهور .

مكان تنفيذ المشروع:

لقد تم تنفيذ المشروع مع كل المكتبين/ات في مكتباتهم التي يعملون بها في مناطقهم.

على أن يتم تنفيذ الورش في كل مكتبة كل شهر وفقاً للآتي:

ملاحظة: لقد نفذت كل مكتبية في داخل مكتبتها عدداً أكبر من الورش المطلوبة منها، وما زالت المكتبيات مستمرات في التنفيذ بالرغم من أننا نكتب التقرير.

مراحل المشروع:

أولاً: المرحلة القبلية: وهي المرحلة التي تم فيها متابعة المجموعات ومتابعة المكتبيين قبل تلقي التدريب.

ولقد تمت بها متابعة المكتبيين في كل المناطق (غزة- بيت حنون- جباليا- رفح- البريج) بحيث أنجزت كل مكتبة (٥) لقاءات: (٢) لقاء خلال شهر يونيو لحكي القصص، (٢) لقاء خلال شهر يوليو لقراءة القصص، (١) لقاء خلال شهر أغسطس جاء في قراءة القصص أيضاً. ولوحظ اقتصار لقاءاتهم على ما يلي: كسر الحاجز بالألعاب اليومية العادية، تهيئة للقصة عن طريق عرض الغلاف ولمحة عن القصة، رواية القصة وعرض صورها، نقاش الأطفال حول: أحداث القصة، الشخصيات، الرسومات، الألوان، ترابط القصة، ربط القصة بمواقف من الحياة، السلبيات والإيجابيات في معاني القصة وفكرتها الرئيسية. الاستماع إلى كل طفل يقرأ فقرة من القصة، ومتابعة كتابتهم للقصة بأسلوبهم، ورسم القصة، واختيار بعض المشاهد من القصة وتمثيلها. ومما شاهدته لاحظت مناقشة فنية عادية تركز على فنيات السرد بشكل بسيط، ومحاولة ترغيب الأطفال في القراءة والرسم والتمثيل وريادة المكتبة والاستعارة منها والتفاعل مع أنشطة الجمعية.

ثانياً: مرحلة التدريب: وهي عبارة عن (٢٠) ساعة تدريبية، اشتملت على العديد من التدريبات العملية، لمساعدة المكتبيين على معرفة مفهوم الجندر؟ وأهميته في المجتمع؟ وكيفية تنفيذ القراءة بشكل جندري؟ وآليات التعامل مع الأطفال بشكل جندري؟ وخصائص الفئية العمرية محل الدراسة من (٨-١٢)، ومهارات تقديم وعرض أدب الطفل بشكل جندري، كيفية الاستفادة من فكرة الجندر في الحياة والقراءة والكتابة الأدبية، وكيفية كتابة خطط وتقارير جندرية.

صعوبات واجهت التدريب:

اضطر المدرب أحياناً إلى أن يخرج عن سير التدريب:

حيث كان بعض المدربين يسألون بعض الأسئلة التي تتعلق بطرق للتعامل مع المشاركين في المكتبة لتحفيزهم أو للتعامل مع الطفل المنطوي والمشاغب ... الخ.

للتدريب على مهارات تتعلق بقراءة القصص وطرق الإلقاء.

للتدريب على مهارات فنية تتعلق بمكونات القصة من الشخصيات والزمان والمكان وتطور الحدث، والحل في القصة، ووجهة النظر فيها.

وللتعرف على الخصائص العمرية للفئة محل الدراسة وهي الأطفال من(٨-١٢).

لقد كان الوقت (٢٠) ساعة المخصص للتدريب قليلاً قياساً لمدة التدريب أو ضعف المكتبيين في تلقي أدب الطفل ودمج الجندر به.

نتائج ايجابية للتدريب:

المتدربون متفائلون أنهم يستطيعون أن يحدثوا تغييرا في تدريبهم.

وأنهم قادرون على تطبيق آليات دمج الجندر في أدب الطفل.

قرر المتدربون من مؤسسة تامر دمج الجندر في كتاباتهم وفي تدريبهم بعد هذا التدريب، وتحدثوا عن قصة مقدمة للمؤسسة بعنوان «مريول المدرسة» سيتم قراءتها جندرياً قبل اعتمادها.

ثالثا: المرحلة النهائية: مرحلة قراءة أدب الطفل بشكل جندري، ومتابعة تفاعل الأطفال مع الفكرة عبر قراءة القصص، أو حكيها، أو الكتابة الإبداعية، أو الدراما.

ولقد تمت بها متابعة المكتبيين في كل المناطق (غزة- بيت حنون- جباليا- رفح- البريج) بحيث أنجزت كل مكتبة (٨) لقاءات: (٢) لقاءان خلال شهر أغسطس للكتابة الإبداعية، (٣) لقاءات خلال شهر سبتمبر للدراما والمسرح، (٣) لقاءات خلال شهر أكتوبر للدراما والمسرح.

نتائج المرحلة الثالثة: أستطيع أن أقسم النتائج إلى مرحلتين:

مرحلة انتقالية: شملت التدريب فيما تبقى من شهر أغسطس وحتى منتصف شهر سبتمبر، وفيها لاحظت رغبة المكتبيات في دمج الجندر بأدب الطفل، وألعابه ولكنهن ما زلن غير متمكنات من الآليات وطرق التنفيذ. ولذلك كانت لي الكثير من التدخلات أثناء التنفيذ للمساعدة في دمج الجندر بالأدب. المهم أنه انعكس إيجابياً على سلوك الأطفال واستطعنا من خلاله ملاحظة تجاوبهم مع فكرة المشروع، حيث بدأ الأطفال يتقبلون تشاركهم في البرنامج، والتعاون في الدراما، والرسم، والتعبير عن أفكارهم مع بعضهم البعض. وعلى إثر هذه النتائج قدمت منسقة المشروع في مؤسسة تامر تدريباً للمكتبيات مدته (٤) ساعات. اشتمل على تطبيقات عملية عن طرق تحويل الألعاب لتصبح جندرية، وكذلك قراءة القصص، والدراما وكتابة الخطط والتقارير بشكل جندري.

مرحلة متقدمة: بدأت المكتبيات فيها بكتابة خطط تظهر فيها أهداف، وألعاب، ورسومات، ودراما، وقصص جندرية. وبدأن بقراءة القصص والاعتماد على الإلقاء المشوق للأطفال، ومحاولة تبديل الأدوار وأسماء الشخصيات وإعادة القراءة بالتحول الجديد، وبدأ الأطفال كتابة قصص تنصف الشخصيات النسائية فيها. والمهم أنه انعكس على سلوك الأطفال واستطعنا من خلاله ملاحظة تجاوبهم مع فكرة المشروع، حيث بدأ الأطفال بالتعاون معنا واللعب بشكل مشترك والاندماج أثناء اللعب مع بعضهم البعض بدون تردد، وبدأت تظهر في رسوماتهم أسر متعاونة ومتشاركة بالعمل والانجاز. ولكن الدراما كانت هي الأكثر تأثيراً دائما في إحداث تقارب بين الأطفال.

«عة ما نعرف»

ؤون المرأة ومؤسسة تامر

د. ميّ عمر نايف

الصعوبات التي واجهت المشروع:

- المكتبيون الشركاء مع مؤسسة تامر في المشروع من جنس واحد، ففي الخمس مناطق كانوا نساء عدا رجل واحد في جباليا وهو جديد تماماً في العمل كمكتبي وغير متمرس في التعامل مع الأطفال، وإن كان يبدي تحسناً من لقاء لآخر، حيث لم نتابع أحداً من الأسماء الذكورية لشباب مؤسسة تامر الذين تدربوا معنا في التدريب على قراءة الأدب من منظور جندري.
- العينة المختارة من المكتبيين غير موفقة إلى حد بعيد حيث لوحظ لديهم ضعف لغوي واضح في القراءة، والقليل منهم لديه من عنده رغبة في القراءة، وهم يحتاجون إلى تعلم مهارات الإلقاء وحكي القصص.
- لا يوجد إلا (٣) من أصل عشرين مشاركاً في التدريب كانت لديه فكرة مسبقة عن الجندر وشخص واحد من اللذين نفذوا معنا.
- معظم المكتبيين غير مقتنعين بأنه من الممكن إقناع الأطفال في مناطقهم بأية أفكار جندرية، وبصعوبة تغيير المجتمع من حولهم.
- بعض القصص المستخدمة في التدريب كان يتم عرضها من قبل المكتبيين دون مراعاة ما إذا كانت توافق فكرة المشروع أو لا، وإن كانت ستكون ناجحة أو لا.
- لم يستطع المكتبيون الالتزام بعدم تغيير الأطفال موضوع العينة الذين يطبق عليهم المشروع، لذلك كانوا تارة يتنبهون إلى أن الفئة لا علاقة بالقراءة أو المكتبة فيتم تغييرهم، وتارة ينتهي الصيف ويبدأ العام الجديد فتتغير فئة الصيف إلى فئة جديدة من طلبة الدوام الصباحي أو المسائي. وتارة يتغيرون لأننا لاحظنا أن الفئة كلها من البنات فيحاولون دمج بعض الأولاد معهم. وتارة يضعون أطفالاً من الموجودين في مراكزهم بغض النظر إن كانوا لهم علاقة بالمكتبة أو بالمشروع. مما صعب عليّ عملية قياس الأثر وتقييمه على المكتبية أو الأطفال.
- يبدو المكتبون أنهم على قناعة أن المشروع سيكون لفترة قصيرة وينتهي، ويعودون إلى ما كانوا عليه قبله فهم إما غير مبالين، أو غير متقبلين للفكرة.
- عدد ساعات التدريب (٢٠) ساعة كانت قليلة فلقد حدد المكتبيون احتياجاتهم، ولم يستطيعوا التمكن تماماً من:
- كتابة الخطة بشكل يظهر فيه أي أداء جندري عندهم أو محاولة لدمج الجندر بالأدب، حيث لم تختلف خططهم أو تقاريرهم في المرحلة الانتقالية (بعد التدريب مباشرة)عن سابقتها، حتى تم عمل تدريب آخر لهم من (٤) ساعات من قبل منسقة المشروع في مؤسسة تامر، لتبدأ الخطط مع نهاية المشروع بالسير نحو صورة تحاول الاقتراب من الصورة المرجوة.
- ولم يتمكنوا من التفكير بالقصص بشكل جندري وعرضها بما يناسب فكرة المشروع ودمج فكرة الجندر في كل الفنون الأدبية من قراءة أو حكي للقصة أو دراما أو كتابة إبداعية حتى شارفنا على نهاية المشروع، وعندها بدأت تظهر بعض المؤشرات على بداية التمكن من المطلوب منهن.

التوصيات:

- الأجدى من وجهة نظري عند تطبيق مشروع لأول مرة كهذا المشروع أن يكون تطبيقه مع الشباب العاملين في مؤسسة تامر وليس مع المكتبيين ومساعديهم الذين تدربهم مؤسسة تامر على التعامل مع الأطفال ومع أدب الطفل، فشباب مؤسسة تامر من الأدباء والكتاب الذين تلقوا الكثير من التدريبات في الإلقاء والتعامل مع الأطفال ومناقشة القصص فنياً معهم وذلك في فترات سابقة مع مؤسستهم، وتلقوا تدريباً عن دمج الجندر بأدب الطفل ضمن هذا المشروع، وبهذا هم أقدر حيث يمتلكون الجانب الفني، وأساليب التعامل مع الأطفال، فسيكون سهلا عليهم دمج الجندر بأدب الطفل. ثم في مرحلة ثانية من المشروع أو في مرحلة تقوم بها مؤسسة تامر منفردة تطبق الفكرة مرة أخرى على أن يقوم بها المكتبيون/ت الذين سيكونون قد تعلموا وفهموا المشروع من شباب مؤسسة تامر.
- عمل تدريب موسع لشباب مؤسسة تامر عن الجندر، وتمكينهم من التدريب عليه.
- التأكد من تحول فكرة الجندر إلى ثقافة داخل مؤسسة تامر، وأن يتم تطبيقها في تدريبهم للأطفال، وأن يتم دمجها في الأدب الذي يكتبه شباب المؤسسة، ومراعاته قبل النشر لأي عمل سيصدر عن المؤسسة، فكما تراعى في الأعمال أن تكون متساوقة مع فكر المؤسسة وسياستها فلا بد أن يكون الالتزام العدالة في تناول النوع الاجتماعي ضمن سياسية المؤسسة الملتزم بها.
- استعمال قصص مؤسسة تامر وهي قيمة فعلا، ومحاولة استعمال قصص عربية وغربية تعمل بشكل واضح على الجندر حتى يتم توضيح الفكرة المرجوة من المشروع بشكل أقوى.
- منح المشروع فترة زمنية أطول حتى يتم التأكد من تغير سلوك الأطفال، فالتغيير المجتمعي بطيء، وتغيير سلوك الطفل الذي يعيش ضمن مجتمع ذكوري صعب ولكنه ليس مستحيلا، فلقد جذر المجتمع فروقاً بين الجنسين كتقسيم العمل، وسيادة الرجال على النساء، وحصر النساء بأعمال نسوية الطالع في حقل الإنتاج الاجتماعي. ومن الممكن أن يغير الطفل سلوكه ضمن المشروع بناء على اقتناع مؤقت داخل المكتبة ومسايرة لمجموعة الأطفال معه وللمكتبية، ولكن السلوك إذا لم يتعزز بمشاعر إيجابية تدعمه تجعل الطفل يحب هذه الفكرة ويسعد بها، فإنها لن تتحول عنده إلى فكرة يؤمن بها. والسلوك الذي لا يتحول ليكون فكرة راسخة من الممكن أن يهتز ويتم التراجع عنه بسهولة مع تغير البيئة المحيطة، أو الأفراد الذين يعيش معهم.
- أن يكون هناك توازن بين الأهداف المرجوة ومدة البرنامج.
- تشجيع مؤسسة تامر على قياس أثر المشروع في التدريب الذي يقدمه شبابها مجتمعياً ، وفي أعمالهم المكتوبة لقياس درجة التقدم حتى تتحول الفكرة إلى ثقافة يتم الالتزام بها ضمن أو خارج المشروع وفي حياتهم اليومية.
- إشراك الوالدين ضمن التدريب في المكتبات، حتى يعي الكبار الهدف من المشروع ويلمسون الثغرات التي يعاني منها الأبناء، فيتبنوا الأفكار الجديدة. بدلاً من أن يعود الطفل للبيت ليعاني من ثغرة كبيرة بين ما يتعلمه في المكتبة وما يمارسه وأسرته في المنزل.
- محاولة التعاون مع المدارس المحيطة بالمكتبة، والوصول إلى مكتبة المدرسة والتعامل مع مكتبيي المدارس، وتدريبهم على فكرة المشروع.
- تدريب معلمي اللغة العربية والانجليزية على فكرة المشروع أثناء معالجة القصص في دروس تحليل النصوص الأدبية.
- تدريب مدرسي اللغة العربية والانجليزية في المدارس الخاصة المشتركة للاستفادة وتطبيق الفكرة على طلبتهم أثناء تدريسهم، وتعوديهم عليها.
- استضافة الأدباء الذين يكتبون للطفل لعمل تدريب يساعدهم على تبني الفكرة ومراعاتها في الأعمال القادمة لهم وبشكل دائم.
- استضافة مقدمي برامج الطفل في المرئي والمسموع وعمل تدريب لهم يساعدهم على تبني الفكرة ومراعاتها في الأعمال القادمة لهم وبشكل دائم، خاصة وقد بات الإعلام السلطة الأولى وليس الرابعة.
- نشر الفكرة ضمن صفحات الانترنت والمدونات والفيسبوك المعتنية بأدب الطفل وهي كثيرة لأخذ الأدباء والمشاركين نحو التفاعل وتبني الفكرة وتطبيقها في أعمالهم الأدبية.
- تشجيع التربية والتعليم على مراجعة صورة المرأة في المناهج وتحديثها وجعلها متناسبة مع المرأة الجديدة في المجتمع للنهوض بوعي الطلاب وسلوكهم. وللتقريب بينها وبين صورة المرأة الموجودة في كتب اللغة الانجليزية خاصة في مناهج المدارس الخاصة، حتى لا يعاني الطفل من ازدواجية بين صورة المرأة التي يراها في كتاب اللغة العربية عنها في كتاب اللغة الانجليزية.
- إن الثقافة بفروعها من أدب ومسرح وسينما وإعلام وتلفزيون وفنون تشكيلية تكمن خطورتها في أنها تحدث تراكماً في اللاوعي أو اللاشعور أو (super– ego) كما يقول فرويد فهو مستودع المعايير الاجتماعية والتقاليد والقيم والصواب والخير والحق، وهو بالتالي بمثابة سلطة داخلية أو رقيب « نفسي» لاشعوري إلى حد كبير، يجعل الإنسان يقبل أو يرفض الكثير من الأشياء وفقاً لما راكمته في ضميره بتكرار العادة.
- إن الوعي يؤدي إلى سلوك واع، واللاوعي يؤدي إلى سلوك لا واع ولذلك فإنه وفقاً لما سيترسب في لا وعي الطفل ويتراكم سنتمكن من أن نعرف طريقة تصرفه وكيف سيسلك، وإذا ما رغبنا في تغيير لا وعيه فلا بد من أن نعرف الشيء الذي يتم تخزينه ويتراكم في لاوعيه، ولعل مكونات الثقافة من أدب بأنواعه ومسرح وسينما وإعلام وتلفزيون وفنون تشكيلية يتمركز تراكمها في اللاوعي فإذا استطعنا أن نراكم فيه كل ما يدعم العدالة والمساواة في النوع الاجتماعي، سنجني أطفالاً وشباباً متوازنين يمتلكون حساً حضاريا، وضميراً يرفض كل ما يؤدي إلى التمييز غير العادل، ويرفضون الظلم على أساس النوع الاجتماعي. -لوحظ أن الشباب من الرجال والنساء الذين يطبقون المساواة والعدالة في النوع الاجتماعي في حياتهم عملياً وداخل أسرهم هم أفراد كانوا يقرؤون ويتابعون أعمالاً أدبية عادلة في تعاملها مع النوع في طفولتهم، وهذا ما يحتم ضرورة الاهتمام بدمج الجندر في أدب الطفل بكل أشكاله من قصص، مسرح، سينما، رسم، فن تشكيلي، وكاريكاتير منذ نعومة أظفارهم.

قضايا معاصرة في تربية الطفل

قراءة: محمود الفطافطة

في سعي حثيث نحو سبر عالم الأطفال وتنميته، فقد تكاثرت الدراسات وتعددت مجالاتها، بالتلازم مع مراحل نموهم، الذي يبدأ خطواته الأولى بخيط الاكتشاف، منطلقاً نحو رحلة التوجيه والمتابعة المحملة بأسئلة واستفسارات كثيرة.

هذه الأسئلة والاستفسارات تُقذف في ملعب العائلة، التي منها من تستوعب، ومنها من تعنف. وبين الاستيعاب والعنف يبقى في داخل كل طفل بهجة تتراقص وأمل ينمو لرسم مستقبل زاهر، يؤكد على حق الذات وحب الآخر.

ومن الموضوعات التي حفرت محاورها في عالم الطفولة، تلك المتعلقة بأدب الطفل وعلاقته بمسألة النوع الاجتماعي. ورغم أن مثل هذه الموضوعات شحيحة في الحقل البحثي العربي، إلا أن الدراسة المعنونة بـ «قضايا معاصرة في تربية الطفل، للمؤلفين أيمن مزاهرة وجمال العساف، منشورات دار قنديل، عمان، ٢٠١١»، تشكل أساساً نوعياً للانطلاق من خلالها، في تأصيل نموذجاً جيداً لفهم قضايا الطفل وكيفية التعامل مع كل ما يستجد في عالمه من مسائل معاصرة، بل سيما المتعلقة بالنوع الاجتماعي أو الإعلامي أو التربوي وغيرها.

ونظراً إلى الحجم الكبير لهذه الدراسة (٣٤٧ صفحة)، فقد ارتأينا اقتطاف حزمة من الأفكار والمحاور التي تركز على الطفل والنوع الاجتماعي، انطلاقاً من أن التخصيص يوضح المسار ويحدد البناء، ويثري الفائدة ويؤسس لمنطلقات منهجية غنية بتوصياتها وآليات عملها.

بداية، تبين الدراسة أنه تم إجراء عديد من البحوث المتعلقة بعالم أدب الطفل والنوع الاجتماعي في الغرب في منتصف التسعينيات من القرن الماضي، لتظهر أن التنميط الجندري والأدوار الجندرية تتزايد بتقدم الصف، وتتركز بشكلٍ أساسي في نصوص اللغة العربية والدين والتربية الاجتماعية والتاريخ. وتشير هذه البحوث إلى أن الأدوار الذكورية مهيمنة في كتب النصوص بنسبة ٨٧،٦٪. كما وجدت أن ٩٦٪ من الأدوار المرسومة في الحياة العامة، هي ادوار وشخصيات ذكورية، بينما دور الذكور في البيئة العائلية ينخفض إلى ٧٦٪.

وبالنسبة لأدوار الإناث، فتوضح تلك البحوث، أن ثلثها صور في البيئات العائلية وثلثها في الحياة العامة، وأن وظائف الإناث المنوطة بها في الحياة العامة، هي في مجالات التمريض والتدريس والوظيفة والعمل، الذي لا يحتاج إلى مهارات، بينما ليس هناك ذكر لأي دور للمرأة في السياسة والأعمال والتجارة والعمل التقني والماهر.

إلى ذلك؛ فإن دراسة مزاهرة والعساف، تشير إلى أن مناهج الطلبة في الوطن العربي وغيره، تزخر بعدة رسائل وأفكار تغطيها العديد من الاتفاقيات الثنائية التي توقعها وزارات التربية والتعليم، وتشمل هذه الأفكار والرسائل على جملة مواضيع وقضايا كالمياه والبيئة والديمقراطية وحقوق الإنسان وغيرها. ورغم ذلك، فإن هناك قلق من أن هذا الأمر يؤدي إلى تأثر المنهاج بمفاهيم وأفكار مجزأة، لا تشكل جزءاً من صورة شاملة متكاملة للعائلة والحياة بكليتها.

وفي هذا الخصوص، تسرد دراسة المؤلفين نتائج دراسة هامة أجريت في لبنان مؤخراً، هدفت إلى الكشف عن التمييز في كتب «القراءة والتربية الوطنية والتنشئة المدنية، على أساس النوع الاجتماعي». جاء في هذه الدراسة، أن الصورة العامة التي احتوتها الكتب المدرسية، لا تبتعد كثيراً عن الصور التي نعرفها ونتعامل معها يومياً، إذ احتل الذكور مركز الصدارة في اللغة العربية والصور والأسئلة، واحتلت الأنثى مكاناً هامشياً، فجاء التركيز على الذكور في الأسئلة الموجهة والتمارين والتوجيه، وجاءت أكثر الصور للذكور.

وتوضح الدراسة، أنه كان للرجل حضور مكثف في الكتب المدرسية في عينة الدراسة سالفة الذكر، فالكتب تظهره بصورة البطل ورب الأسرة ومالك للموارد المالية والتصرف بها، وكمعيل موجه للأسرة ومدير لشؤونها وقادر على تشغيلها، وجاءت صور له أيضاً حاملاً لصفات الذكاء والطموح والحكمة والشجاعة والقوة والجرأة.

ويذكر مزاهرة والعساف، أن الدراسة اللبنانية خرجت بتوصيات محددة وهامة في هذا الإطار، تؤكد غياب البعد الجندري عند وضع المناهج، وان تغيير هذه الصور، يتطلب إجراءات تدخلية للرؤية الجندرية المتوازنة بين الرجل والمرأة. ومن أهم هذه التوصيات:

وضع معايير جديدة لتغيير واقع الصورة الجندرية الموجودة حالياً في المناهج التربوية في كل المراحل التعليمية، واستكمال عملية التحديث والتقييم.

استخدام اللغة المتوازنة في هذه الكتب المدرسية بين الجنسين، حتى تشعر النساء بقيمتهن كمواطنات مسؤولات.

ضرورة التركيز على قضايا المرأة وحقوقها السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المجتمع، وفي المناهج والكتب المدرسية.

القيام بدراسات أخرى للوقوف على الوعي الجندري، وتعميم المعرفة حوله بين الطلاب والطالبات في جميع المراحل.

عقد دورات تدريبية للمعلمين والمعلمات ومؤلفي ومؤلفات الكتب وأعضاء وعضوات لجان المناهج للكتب المدرسية، من أجل التوعية الجندرية.

وضع دليل تدريبي للجندر للمعلمين والمعلمات، لاستخدامه في التوعية الجندرية.

وفي السياق ذاته، نجد هذا الكتاب يتطرق إلى دراسات أخرى، تؤكد تفوق الفتيات على الأولاد في الاختبارات الدراسية على المستوى القومي في كثير من الدول. ففي عام ١٩٩٧، أُعدت دراسة في بريطانيا، أظهرت أن ٤٩٪ من البنات حصلن على خمسة تقديرات متفوقة أو أكثر في الثانوية العامة، في مقابل ٤٠٪ من الأولاد. أما الشواهد المتعلقة بتأثير النوع قي الميل إلى الانقطاع عن الدراسة، فتتسم بالتضارب. إذ تشير بعض الشواهد إلى أن الأولاد أكثر ميلاً قليلاً، إلى الانقطاع عن المدرسة من البنات، في حين تدل نتائج بحوث أخرى، على أنه لا توجد فروق بين الأولاد والبنات. غير أن هذه النتائج تنطوي، مع ذلك، على دلالات مهمة. فإذا لم يكن الانقطاع عن الدراسة ظاهرة خاصة بالأولاد أساساً، في حين أن الجريمة خاصة بهم في المقام الأول، فإن فكرة العلاقة العليا بينهما، تتطلب مزيداً من الحرص.

الحديث عن عالم الطفل يطول ويتشابك، ولكن مختصر القول، يمكن التأكيد على أن دراسة مزاهرة والعساف، تمثل أساساً معرفياً وقاعدة معلوماتية لا غنى عنها، في الانطلاق نحو إعداد بحوث تتعلق بعالم الطفولة، خاصة فيما يتعلق بقضيتي الأدب والنوع الاجتماعي. في الكتاب الكثير من المعطيات حول هذا العالم، الذي نأمل أن يكون جميلاً بمضامينه، وأخضراً بواقعه ومستقبله، بعيداً عن إراقة الدم، والتهميش والاستغلال.

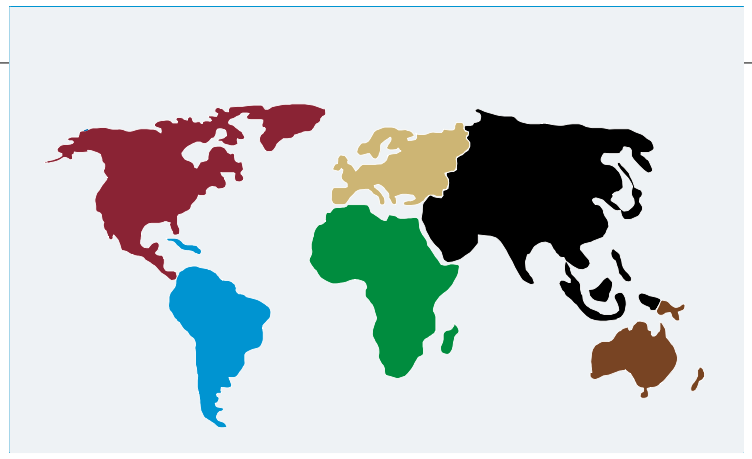

نساء وأخبار

ارتفاع نسبة العنف ضد المرأة

النرويج: ارتفعت نسبة حوادث العنف ضد النساء في النرويج عما كانت عليه العام الماضي، وفقاً لما كشفته إحصائية صادرة عن مركز البحوث والدراسات في العاصمة أوسلو. وأثارت الأرقام تخوف المسؤولين، لا سيما أن الدراسة أظهرت، أن هناك نسبة ٣،٤٪ من النرويجيين يتعرضون للاعتداءات والعنف الأسري. وتؤكد الدراسة تلقي الشرطة نحو ٣٩٤ ألف شكوى، من مواطنين تعرضوا للعنف والاعتداء حتى نهاية شهر سبتمبر الماضي، فيما كان عدد البلاغات عن الفترة ذاتها من العام الماضي، نحو ٢٧٠ ألف شكوى فقط. وذكر التقرير أن غالبية المعتدى عليهم من النسوة، وشكلت نسبتهن ٧٥٪، بينما بلغت نسبة الشباب المعتدى عليهم ٢٥٪. وأشار التقرير إلى أن غالبية الإعتداءت جرت في المنازل وبين أفراد العائلة.

وأثار نشر التقرير انتقادات داخل البرلمان، الذي أكد أحد أعضائه، أن ضعف القانون أمام المخالفين يجعلهم أكثر عنفاً، وخاصة ضد النسوة والأطفال.

٤٢٪ من التركيات يعانين من العنف الأسري

تركيا: كشفت دراسة تركية حديثة، أن ٤٢٪ من النساء التركيات يعانين العنف الجسدي على أيدي أزواجهن، وهو ما دعا الحكومة التركية لإدخال مجموعة من الإجراءات الجديدة لمكافحة هذه المشكلة، وسط تحذيرات المتخصصين بأن إجراءات الحكومة غير فعالة في الحد من ظاهرة العنف ضد المرأة. وذكرت شبكة يورونيو الإخبارية، أن تركيا تبذل جهوداً كبيرة للحد من هذه الظاهرة على المستويين الحكومي والثقافي، ولكن انتشار الظاهرة لا يتوقف، فيما تعمل مجلة «بيان يانى» التركية الساخرة، على تركيز أضوائها المستمرة على هذه الظاهرة بالذات، وخاصة أنها مجلة نسائية، وكل محرريها من السيدات، كما أن قراءها من السيدات، وتتميز بالمعالجة الجريئة والشجاعة لكافة القضايا الحساسة. وقالت إحدى المحررات في الجريدة: «أحياناً تصيب جرائم العنف ضد المرأة الفرد بالغم من أنها حادث مأساوي، إلا أنه يحمل جانباً كبيراً من الهزل والسخرية من المجتمع والجاني، فأكثر ما يثير السخرية، أن تجد مثلاً رجلاً جامعياً يمارس العنف الجسدي على زوجته». وأفاد أحد المحامين المدافعين عن النساء اللواتي تعرضن للعنف، بأن تسليط الضوء على مثل هذه القضايا مهم جداً، فهو يرفع من وعي المرأة والمجتمع بتلك القضايا، ويشجع المرأة أن تحصل على حقها القانوني، ولا تستكين عند تعرضها لحادث مماثل، وهو ما يعد رادعاً للرجال المعتدين. مؤكداً في النهاية أن المرأة التركية، لديها رغبة قوية في تحقيق مزيد من الحرية والاستقلالية.

٣٠٪ من جرائم الاغتصاب في الجزائر يرتكبها المثقفون

كشف خبراء نفسيون واجتماعيون في الجزائر النقاب عن ظاهرة الاغتصاب الآخذة بالتفشي في البلاد، مشيرين إلى أن «أحدث الإحصاءات في الجزائر عن حالات الاغتصاب، تبين أن ٣٠٪ من تلك الجرائم يرتكبها مثقفون». وأفادت صحيفة الخبر الجزائرية، أن الهيئة الوطنية لترقية الصحة وتطوير البحث في الجزائر، والمعروفة باسم (فورام)، أكدت أن معظم حالات الاغتصاب تسجل في شمال الوطن، وتنفذها بنحو ٣٠٪، قيادات مثقفة بمستوى عالٍ من التعليم. واعتبرت الهيئة، أن «الجنوب يسجل به حالات قليلة، بسبب ما وصفه بارتباط العائلات بالعادات العربية الإسلامية، ووجود الزوايا». ويذكر أن الشرطة الجزائرية، سجّلت ارتفاع عدد حالات الاغتصاب خلال الأشهر الثلاثة الأولى من عام ٢٠١١، حيث وصل العدد إلى ٢٢٩ حالة مبلّغ عنها، أي ما يساوي متوسط عدد الحالات المسجلة في عام واحد فقط، مقارنة بإحصاءات السنوات الخمس الأخيرة. كما تم تسجيل ٦ حالات زنا محارم خلال الثلث الأول من السنة الجارية.

وفي العام الماضي، سجلت الشرطة ٢٣٨ حالة اغتصاب، منها ٤١ ضد قاصرات، وكانت ولاية تلمسان قد سجلت ٢٢ حالة متبوعة بولاية تيارت بـ١٣ حالة والعاصمة بـ١٢ حالة، بحسب الأرقام التي نشرتها «الخبر». وأحصت الشرطة –وفق هذه الأرقام في ٢٠٠٩– نحو ٢٣٠ حالة اغتصاب، منها ٥٤ حالة ضد قاصرات، فيما سجل سنة ٢٠٠٥ أكبر عدد من حالات الاغتصاب ضد القاصرات بـ١٣٨ حالة، من أصل ٢٤٤ حالة اغتصاب.

ودقّت الدكتورة زهرة بوكعولة، أخصائية نفسية في خلية حماية الأحداث بالشرطة الجزائرية، ناقوس الخطر لتفشي ظاهرة العنف ضد المرأة بشتى أنواعه، اللفظي والجسدي والجنسي.

وأكدت في تصريحات نقلتها الصحيفة الجزائرية أنه «حتى ولو كانت الأرقام المقدّمة تخيف، فإنها لا تعكس الحقيقة»، مادام هناك بعض الحالات لا يبلّغ عنها خوفاً من كلام الناس. وأعلنت الخبيرة خلال ندوة حول «دور المرأة في المجتمع المدني»، نظمتها (فورام) عن استراتيجية جديدة، تنتهجها مصالح الدرك الوطني (الشرطة) أثناء التبليغ عن حالات الاغتصاب؛ بتقديم الضحية أمام نساء دركيات لأخذ المعلومات الدقيقة عن الحادثة، فضلاً عن خضوع الضحية لعملية إنصات من طرف مختصين في علم النفس.

لحلقة الرابعة

مستقبل المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية

المحامي علي أبوهلال

تناولت الحلقة الأولى من هذه الدراسة، التقديم المتعلق بموضوع مستقبل المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية في الدولة الفلسطينية، بالإضافة إلى الجزء الأول من المشاركة السياسية في المجلس التشريعي، فيما تناولت الحلقة الثانية نسبة مشاركة المرأة في المجلس التشريعي الجديد، والنتائج التي حققتها في الانتخابات الثانية للمجلس التشريعي، كما تناولت الحلقة الثالثة من هذه الدراسة المؤشرات التي كشفت عنها نتائج الإنتخابات التشريعية، والتحديات المقبلة، ومستقبل المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية في المجلس التشريعي الفلسطيني للدولة الفلسطينية، وفي الحلقة الرابعة، تتناول المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية في الرئاسة والحكومة.

ثانياً: المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية في الرئاسة والحكومة

تعد مشاركة المرأة في رئاسة الدول وحكوماتها، مؤشراً هاماً على مدى التطور ونسبة التقدم الذي حققته المرأة في ميدان المشاركة السياسية، وتعكس مدى احترام المجتمع لدور المرأة، وقناعته بدورها القيادي الى جانب الرجل، الذي ظل لعقود طويلة يحتكر مركز القيادة في دول العالم المختلفة.

فقد أبرزت نتائج دراسة إحصائية أنجزتها منظمة الأمم المتحدة والاتحاد البرلماني الدولي مؤخراً، أن نسبة مشاركة المرأة في المناصب الوزارية، قد زاد عن ٥٠٪ من مجموع هذه المناصب في بعض الدول، حيث تجاوزت فنلندا نسبة ٥٨٪، والنرويج ب ٥٦,٦٪، في حين أن غريلاندا تحتل المرتبة الثالثة ب ٥٠٪.

وأوضحت الدراسة أن هذه البلدان الثلاثة، التي تأتي في المقدمة، تليها كل من السويد وفرنسا وجنوب إسبانيا، التي انخرط قادتها السياسيون بقوة لصالح المساواة بين الرجال والنساء. وأضافت أن ٢٢ بلداً تشغل فيها النساء مناصب وزارية بنسبة تفوق٣٠٪، من بينها١٢ في أوربا، وستة في منطقة أمريكا اللاتينية الكاريبي، مشيرة إلى أن١٧ بلداً فقط، وخاصة في أوروبا بلغت نسبة ٣٠٪.

وكشفت الدراسة، أن ١٣ بلداً لا يوجد بها أية امرأة وزيرة، وأن ثمانية بلدان أخرى بها نسبة مئوية أقل من ٥٪ من النساء الوزيرات.

وعلى الصعيد العربي، فقد كانت المملكة المغربية في مقدمة الدول العربية التي حققت فيها المرأة مشاركة عالية في المناصب الوزارية، حيث وصلت هذه المشاركة الى ٥ وزيرات، أي ما يعادل نسبة ١٩,٢٪ من المناصب الوزارية، تليها الأردن ثم موريتانيا ثم الجزائر.

وعلى الصعيد الفلسطيني، فرغم الدور البارز والهام الذي اضطلعت به المرأة على صعيد الكفاح الوطني والتنموي والاجتماعي والثقافي في مختلف الحقب التاريخية في فلسطين، إلا أن ذلك لم يعكس نفسه على صعيد نسبة مشاركتها السياسية في المناصب القيادية، وتحديداً في رئاسة وحكومة السلطة الوطنية الفلسطينية.

المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية في الرئاسة

جرت الانتخابات الرئاسية الأولى للسلطة الوطنية الفلسطينية في شهر كانون الثاني عام١٩٩٦، وتنافس على منصب الرئاسة كل من رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية السيد ياسر عرفات، والسيدة سميحة خليل رئيسة جمعية إنعاش الأسرة. وكانت هذه الفرصة هي المرة الأولى، التي أتيح للمرأة الفلسطينية أن تتنافس على منصب الرئاسة، وان ترشح نفسها لهذا المركز القيادي السياسي الهام، ولم نجد إلاّ إمرأة واحدة فقط ترشح نفسها لهذا المنصب، هي السيدة سميحة خليل.

وفي الانتخابات الرئاسية الثانية، التي جرت في عام ٢٠٠٥، لم ترشح أي امرأة فلسطينية نفسها، وهذا يعبر عن تراجع دور المرأة، وعلى تدني وضعف استعدادها للمنافسة على موقع الرئاسة الفلسطينية. صحيح أن السيدة سميحه خليل لم يحالفها الحظ في الفوز في انتخابات الرئاسة الفلسطينية الأولى، وهذا ما كان متوقعاً، ليس من قبل المجتمع الفلسطيني بكافة مكوناته السياسية والاجتماعية، بل من قبل المرشحة الأولى أيضاً.

لكن السيدة سميحة خليل، كان لديها الاستعداد الكفاحي والمبدأي للتنافس على هذا المنصب، رغم انها كانت مستقلة، ولم تكن منتمية لأي حزب أو فصيل فلسطيني، ولكن رؤيتها وبعد نظرها السياسي قد فاق رؤية كل الاحزاب والفصائل السياسية الفلسطينية، وتحديداً التقدمية والديمقراطية منها، التي ما فتأت تدعو لدعم المرأة ومناصرة حقوقها المدنية والسياسية والاجتماعية.

وقد فتحت هذه المرأة المناضلة، الطريق للمرأة الفلسطينية، نحو الوصول إلى تحقيق طموحها المشروع، في تبوأ المركز القيادي السياسي الأول في فلسطين، ولم تنحنِ أمام الضغوطات الكبيرة التي مورست عليها، لثنيها عن خوض الانتخابات الرئاسية الأولى في فلسطين، لدواعي وأسباب كثيرة، لا مجال للدخول فيها الآن.

ولكن ما يمكن التأكيد عليه، هو صوابية وصحة هذا الموقف الذي اتخذته هذه المرأة المناضلة، بالاصرار على التنافس على موقع الرئاسة، ليس من منطلق توقعها الفوز في الانتخابات، بل من منطلق تكريس حق المرأة الفلسطينية في الوصول إلى قيادة الدولة والمجتمع الفلسطيني. وبذلك جسّدت بهذا الموقف الطليعي والمشرّف، دور القائدة الوطنية البارزة، وعبرت بحق عن طموحات المرأة المشروعة في المشاركة السياسية للمرأة، وفي قيادة شعبها نحو مجتمع ينعم بالحرية والاستقلال، وتسوده العدالة والمساواة والديمقراطية، في ظل دولة حرة وشعب حر.

مستقبل المشاركة السياسية للمرأة القادمة

على الدرب الذي جسدته المناضلة والقائدة الوطنية البارزة سميحة خليل، يمكن مواصلة الطريق لتطوير دور المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية في الدولة الفلسطينية العتيدة، وفي رئاستها المقبلة، ولعل من المناسب في هذا المجال، التأكيد على جملة من التوصيات، التي يمكن أن تساهم في تحقيق هذه الغاية، وفي مقدمتها:

دعوة المجتمع الفلسطيني إلى ممارسة التميز الإيجابي لصالح المرأة، والالتزام بما ورد في وثيقة الاستقلال، وتعزيز ثقافة المساواة بين المرأة والرجل.

دعوة الأحزاب والقوى السياسية، إلى توسيع مشاركة المرأة في أطرها القيادية على مختلف المستويات. تطوير دور الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، وسائر المنظمات والاتحادات النسائية في المجتمع الفلسطيني، وفي الحياة السياسية.

تطوير دور مؤسسات المجتمع المدني، في تعزيز مشاركة المرأة في أطرها القيادية وفي مراكز صنع القرار. تعديل القانون الأساسي وقانون الانتخابات العامة، بما يكفل نظام الكوتا في الانتخابات القادمة، والتمييز الايجابي لصالح المرأة، وإرساء قاعدة الدائرة الواحدة والتمثيل النسبي. توسيع مشاركة المرأة في انتخابات هيئات الحكم المحلي، من خلال التمييز الإيجابي لصالح المرأة.

تعزيز وممارسة الحقوق الأساسية الواردة في وثيقة الاستقلال والقانون الأساسي، وخاصة المساواة وعدم التمييز بين الجنسين في كافة المجالات.

إن تعزيز وتكريس الديمقراطية في المجتمع الفلسطيني وفي الدولة الفلسطينية العتيدة، يعتمد بدرجة رئيسية على مبدأ المساواة بين الرجال والنساء، وفي تمكين المرأة الفلسطينية من الوصول إلى القيادة السياسية، وممارسة السلطة في كافة المستويات، ومن ضمنها الرئاسة الفلسطينية، بالإضافة إلى سن التشريعات والقوانين، التي تكفل للمرأة حقوقاً مساوية لحقوق الرجال، واتخاذ الإجراءات الكفيلة بوقف الأعمال التي فيها تمييز ضد المرأة.

خراريف من الذاكره

إكرام ابوسمية

حسب معلوماتي أن حق النقد الفيتو، هو سلطة تمكن صاحبها من إلغاء أية قرارات صادرة عن مجلس الأمن، كإعلان حرب أو سلم، ولا يمكن لأي شخص أن يخالف إلغاء القرار إذا ما صدر، ومن يمتلك هذه السلطة خمس دول فقط ، أمريكا، الصين، روسيا، بريطانيا و فرنسا، و أكثر من يستخدم حق النقد هي أمريكا لصالح إسرائيل عادة . أصبحت هذه الكلمة في مفهومين الظلم والقهر، وغصة في القلب، ولا حول لنا ولا قوة . عندما نتشاور أنا وأبنائي على شيئ ما وأعترض، يطلقون علي مازحين «فيتو»، امتعض من التسمية، إنما أبحث عن المصلحة ولا يكون اعتراضي شبيه بفيتو أمريكا. المفارقة أننا تقدمنا بطلب تصريح للذهاب إلى القدس لحضور حفل زفاف قريب وصديق لنا، حيث أرفقنا بطاقات الدعوة وصورة عن هوية العريس مع الطلب.

كنا ثلاثة أشخاص فوق سن الخمسين من العمر، جاءنا الرد بعد أسبوع بالرفض، وكانت المصادفة أن إبني كان قد تقدم بطلب فيزا زيارة الى السفارة الامريكية في القدس، وحصل على الرفض في نفس اليوم الذي رفض فيه تصريحنا إلى القدس من قبل إسرائيل. تزامنت هذه الأحداث في فترة إعلان الدولة في مجلس الأمن، حيث كان الفيتو الكبير. في بعض الأحيان نرى عروضا تجارية، إشتري واحد واحصل على الثاني مجاناً، أو إثنين في واحد كالشامبو والبلسم ، أو إمرأة تلد إثنين مرة واحده، و أحياناً ثلاثة توائم، أما نحن فحصلنا على ثلاث فيتو في نفس اليوم!

الفيتو الكبير وفيتو السفارة الأمريكية لإبني وفيتو من سلطات الإحتلال، لمنعنا من الذهاب إلى القدس. تعود بي الذاكره عندما وضعت أحد ابنائي في مستشفى القدس للتوليد، سألتني زميلتي في الغرفة ماذا سميت إبنك؟

قلت سميناه «عماد»، وأنت ماذا سميت إبنك؟

قالت: «فيتو»، صرخت وقلت ماذا؟ قالت أخو زوجي في أمريكا يطلق عليه الاسم لقباً وليس اسماً أصلياً، وزوجي يحب أخوه ويريد أن يسميه على اسم أخيه، مع العلم أن المرأة تعيش هي وزوجها في أمريكا، قلت لها حرام، ألا يكفي ما نتلقى من فيتوهات أمريكية، حتى تأتي انت الفلسطينية. تسمي إبنك بهذه الإسم، أليس هذا ظلماً لانفسكم قبل أن تظلموا ابنكم. غادرت المستشفى، ولا أعرف هل اقتنعت أم بقيت مصرة عل ذلك الإسم.

وأتذكر أيضاً هذه الطرفة، إحدى العجائز المسنات كانت تقول لاحفادها، والله الفيتو زاكي في رمضان، ليش بتزعلوا ستي يوم يقولوا فيتو، ظناً منها انهم يتكلموا عن شراب الفيمتو! أما نحن الفلسطينون، فقد شربنا فيتو حتى ارتوينا!

هوس الذكورة

نجوى غانم

ذكر أم أنثى؟ سؤال يشكل هاجساً يعيش مع الزوجين منذ اللحظة التي يتم بها اكتشاف الحمل، فيتلهفان لمعرفة جنس الجنين، خاصة إن كانت الرغبة هي إنجاب الذكر، وهو الأمر الأكثر حدوثاً في مجتمعنا، نظراً للاعتقاد العائد للموروثات الفكرية الذكورية، بأن الحمل بأنثى يتكرر كثيراً.

ولا تسعى المرأة إلى إتباع أية وسائل لإنجاب الأنثى، من منطلق أنها مضمونة، على خلاف الحمل بطفل ذكر، الذي لا يزال قدومه فرحة كبيرة للأهل. وبالرغم من تطور مفاهيم الصحة الإنجابية، والزعم المجتمعي بعدم التمييز بين الذكور والإناث، إلا أن معرفة المرأة بأنها حامل بطفل ذكر، لا تزال تشكل فرحة للزوجين ولأسرتيهما، حتى ولو كانت قد أنجبت أطفالاً ذكوراً من قبل، فالتمييز في المشاعر عند معرفة جنس الجنين، ظاهرة واقعية، رغم التأكيدات بأن هذا الأمر قد تراجع خلال السنوات القليلة الماضية، بسبب زيادة الوعي لدى الأزواج، ورغبتهم بإنجاب طفل سليم معافى، بدلاً من إنجاب أطفال ذكور.

ترقب وقلق

تظل المرأة الحامل منذ تيقنها بالحمل، وهي تترقب الأيام التي سيحسم فيها الطبيب مجرى حياتها القادمة، بالكلمة التي قد تغمرها فرحة «ولد»، أو تضفي عليها التعاسة «بنت»!

حبست نجوان، ٢٣ عاماً أنفاسها، وهي تراقب تقطيبة وجه الطبيب أثناء فحص السونار لجنينها .أخبرته أنها أنجبت، ثلاث مرات، وكانت الإناث قسمتها ونصيبها. لحظات قلق، لا تعلم نجوان كم استغرقها الزمن، على أمل أن يبشرها الطبيب بأنها حامل بطفل ذكر. وما أن أخبرها بأنها سترزق بطفلة حتى استغرقت في بكاء شديد في العيادة، ورجته عدم إخبار زوجها لحين وقت الولادة، خوفاً من أن تتغير معاملته لها خلال فترة الحمل، خاصة أنه قد هددها بالزواج من أخرى، إن لم تنجب له الطفل الذكر. أما سمية، ٢٧ عاماً، التي أنجبت أربع بنات، جميعهن بعمليات قيصرية، وبعد إلحاح زوجها على محاولة الحمل مرة أخرى، كان المولود أنثى، مما أصابها بحالة من الإحباط والإكتئاب، استمرت لعدة أشهر.

ف. ر، ٣٤ عاماً، رزقت بمولود ذكر في بداية حياتها الزوجية، ثم بعدها بعامين رزقت بأنثى، لم تقابل بالترحاب على الإطلاق، رغم أنها الأولى، وقد تبع هذه الطفلة عمليتي إجهاض، كادت الثانية أن تودي بحياتها، إلا أن ذلك لم يعتقها من الدوران في دائرة دعاء كل من حولها لها «بالعوض»، متجاهلين أن بكرها كان ذكرا!

لا يمكنني أن أنسى صورة «ن. ك» جارتي في غرفة الولادة في مستشفى أصدقاء المريض، التي ظلت بعد الولادة تنتظر قدوم زوجها ليحمل ابنته الثانية ويؤَذن في أذنها، ساعات من التساؤل الحرج عن تأخره، إلى أن وصل أخيراً وألقى ما في يده من طعام بضغينة على المنضدة المجاورة لرأسها، وغادر المستشفى دون أي كلمة.

معاملة خاصة

قد لا تستغرب استغلال الكثير من النساء أزواجهن أثناء حملهن بالذكر، فتتمارض وتنام قدر ما تشاء، وتطلب أنواع معينة من الطعام، قد لا يستطيع الزوج توفيرها، فيستدين ليشتريها، فالذكر يستحق العناء، كما وتتجرأ وتطلب الدلال وحسن المعاملة، خوفاً على سلامة «جنينها الذكر».

أذكر «س. ع» ٣٦ عاماً، إحدى جاراتي وهي تعاتب زوجها بصوت يسمعه جميع الجيران قائلة: «تغضبني وأنا حامل بولد؟»، فيسارع الزوج لإرضائها، وكأن الولد حصانة للمرأة الحامل من معاملة الزوج غير اللائقة.

ولم تتردد «س. د»، وهي صحفية مشهورة، أن تخبرني بينما كنا نناقش موضوع هذا المقال، أن زوجها أخبرها أنه سيهتم كثيراً بتغذيتها، إن كان ما تحمله في أحشائها ذكراً»، مع العلم أن «س» لديها ابنة واحدة، وما تحدث عنه زوجها كان الطفل الثاني».

أما «أ. ب» ٢٦ عاماً، معلمة في أحد رياض الأطفال، فقد صرحت لي، أنها تعمدت إرضاع طفلتها الأولى والثانية حليباً صناعياً، لينضب حليبها ويحدث الحمل، عله يكون ذكراً لتحظى بالاهتمام والرعاية من قبل زوجها وأهله، الذين يقدسون الذكور.

الفكر الذكوري يطال الأطباء

يلجأ بعض الأطباء للمراوغة في إعلان جنس المولود للزوجين إن كان أنثى، معتقداً أنه بمراوغته هذه يريح نفسية الأم، ويخفف صدمة الأب، الذي من الممكن أن يكون هذا الجنين هو نسبة له، فتارة يدعي أن الجنين عاقداً قدميه، وأخرى يقول أن الجنين يدير ظهره، وهكذا، من ذريعة لأخرى، حتى يأتي الشهر التاسع، فيضطر الطبيب لإعلان «الخبر المأساة» في وجه الزوجين.

حتى الطبيبات الأجنبيات الموجودات في القطاع، قد أشربن الثقافة الذكورية على يد المجتمع الغزي، فتراهن يواسين المرأة في حملها بأنثى، ويمنين الزوج أنه قد يتغير لذكر عند الولادة!

وعن «ن. ج»، التي أصيبت بالتهاب في العصب السابع للوجه بعد ولادتها لابنتها الثانية بأيام، وذهبت لطبيب أعصاب مشهور، فإذا به يشخص حالتها بأنها صدمة عصبية لأنها أنجبت طفلة أنثى. وحاولت جاهدة إقناعه أنها لا تهتم لجنس المولود، بقدر اهتمامها بسلامته، وأنها كانت تعلم أنها أنثى منذ الشهر الخامس، إلا انه أصر على تشخيصه، وبعد مرور أسبوع على تناولها المهدئات التي ستخفف من صدمتها العصبية حسب زعمه، غيَر الطبيب تشخيصه لحالتها، على أنها التهاب في العصب السابع للوجه، بسبب تعرضها للهواء البارد بعد خروجها من غرفة مكيفة بالهواء الساخن بعد ولادتها مباشرة.

والمضحك في الأمر أنها علمت أن الطبيب لم يرزق بطفل ذكر إلا بعد خمس إناث، وأدركت حينها أنه اسقط عليها صدمته الشخصية، بدلاً من أن يشخص حالتها بموضوعية.

هذا وقد انتشرت فكرة زيارة طبيب نساء وتوليد مشهور في القطاع، ومعروف بقدراته على مساعدة الأم على الحمل بطفل ذكر، وأصبحت كل من تود الحمل بذكر تسأل وتستقصي عن عنوان هذا الطبيب وتتابع عنده سراً، حتى لا يعلم أحد بأمرها فيحسد جنينها الذكر، فيتحول بفعل العين إلى «أنثى».

مشروعية تحديد جنس المولود

تحديد جنس المولود، أو اختيار مواصفاته الجينية، لا يزال من المواضيع الحساسة في مجتمعنا الفلسطيني، مما يعد «تعدياً على مشيئة الله» في الحسابات الاجتماعية، أما بالنسبة للحسابات الطبية والعلمية، فهو أمر آخر، مختلف الأهداف والأسباب والعلل، غير متعلق بالدين أو بالمجتمع، وإنما بما يسمى «الضرورات الطبية».

هذا وقد توسعت عمليات تحديد جنس المولود شيئاً فشيئاً، لتشمل قضية تحديد جنس الجنين لمن هم محرومين من إنجاب الذكور، فعلى سبيل المثال، يقصد الوالدان المراكز الطبية المتخصصة، ويطلبان من الطبيب إجراء إخصاب خارجي، بحيث يتم اختيار الجنين الأنسب وزراعته، ويكونان عادة بحاجة ماسة لذلك.

وإن توفر هذه التقنية في فلسطين، يعد من الأمور المهمة، مما يوفر على الوالدين مال السفر وجهده، لأن العملية في الأصل مكلفة جداً، إذ تقارب تكاليفها ١٢ ألف شيقل، بما في ذلك الدواء وتقنية فصل الجنس ودراسة الأجنة وما إلى ذلك.

وبالطبع فإن كل ذلك يحدث خارجياً، من ثم يتم زراعة الجنين في رحم الأم لينمو ويكبر، مما يحتاج إلى ١٦ -١٨ يوماً، منذ بداية العلاج حتى نهاية العملية، التي لا تتجاوز نسبة نجاحها في العادة ال٣٠٪، أي أن كل ٣ نساء من ١٠ يخضن التجربة ينجحن في إنجاب أطفال سليمين منذ البداية.

بدوره يؤكد سماحة الشيخ تيسير التميمي قاضي قضاة فلسطين، أن هذا التطور العلمي بما فيه عمليات الإخصاب الخارجي وتحديد جنس الجنين، لا يتنافى وإرادة الله، لأنه هو الذي يرزق من يشاء ذكوراً أو إناثاً، ويجعل من يشاء عقيماً، إلا أن الشيخ يحذر المختبرات والمراكز التي تضطلع بهكذا عمليات، من حالات اختلاط الأنساب، ويطلب من كل مركز مختص بهذه الأمور الحذر ودقة التصنيف، حتى لا يتم الوقوع في اللبس والخطأ.

وأكد الشيخ عبد الله بن سليمان، المنيع عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، أن اختيار أو تحديد نوع الجنين من حيث كونه ذكراً أو أنثى جائزاً، على أن يكون وفق الضوابط الشرعية.

وصرح أن تلك العمليات ليست بدعة، وإنما هي فكرة طبية جربت، وثبت نجاحها بنسب متفاوتة، وهى لا تتعارض مع إرادة الله تبارك وتعالى، وهذه الفكرة إن نجحت فإرادة الله فوق كل شيء على حد قوله.

وبالرغم من كلفة هذه العمليات التي تتطلب الكثير من الدواء والفحوصات والتحاليل، إلا أن الكثيرين يقبلون عليها ويطلبونها لأسباب عدة، من أهمها إنجاب الذكور، لكن في الوقت الذي يتمنى كثير من الأزواج قدوم طفل، ويلجئون إلى مراكز الإخصاب والمساعدة على الحمل لتحقيق هذا الحلم، هناك في الطرف الأخر من يعترض على المشيئة الإلهية، متناسياً أن الطفل السليم المعافى من أية أمراض أو إعاقات، هو نعمة من الله بغض النظر عن جنسه.

مَمْلَكَةُ اليمامات

أمل جمعة

قصيرٌ يوم المراهقات، لا وقت فيه للقيّلولة ولا لعملٍ طوعي صغير، مثل إنقاذ اليمام من سُم الفتيان الأشقياء، وجروح المقلاع المطاطي في بطن يمامة. سأعرف لاحقاً أنها تقودُ عالم الطيور وتتحكم بنسله، وسأكتشفُ كم من الدفء تحمله أسفل جناحها المكسور، سأتذكر على الدوام عيونها الصغيرة كحبات العدس، وهي تحاول أن تفتحهما بصعوبة، نساعدها بسذاجة، علّها تلفظ خارجاً حبات القمح الخضراء المخادعة والمطلية بمخدر، نفشل في ترميم جناحها، سأبكي وصديقتي ونحن نحملها لقبرٍ صغير، بينما تسقط رؤوس البلابل مقطوعةً ودامية في حفل صيد وفير قررّه الفتيان نكايةً بنا، وغيرةً من احتلالنا المشروع، كما نؤمن، لزقاق الحارة الجوانّي، ولمنطقة مشرفة في تل صغير بجانب مُخيمنا، أقمنا بها معسكراً أنثوياً خالصاً.

كنّا نحميه بالأمل وبطقس ورثناه من الأمهات، نحيطه بدائرة من الحجارة نُغلقها كاملةً ونتمتم موقظين الرَصد (حارس الكنز) كما فعلت سيدة بذهبها الكثير، تركته في حراسة جان، وأضمرت في قلبها شرطاً: «ما دام الهواء يعبث بصدر ولدي، وإلا كنْ بالحال تراباً».

كالعادة تتجادل المراهقتان، وتسخر كُل منهما من لهجة الأخرى. للمراهقات عين ثاقبة في تتبع العيوب واكتشافها في وجوه وأجساد أترابهن، فهن يلاحظّن بسرعة تفاصيل بثور البشرة وانكماش الصدر، والشعيرات النافرة أسفل الإبط، يُدركن أي خجل سيحطُ (بالصديقة /العدوة)، إذا ما لوحتْ إحداهن بطرف سّر صغير، وكم تخترعُ المراهقات من حوادث لخربشة يوم كامل، لكنهن يحملن منطقاً جمعياً بالرفض والمناكفة والملمة أنفسهن ضد الفتيان.

كان الأولادُ أقل رقّة (كالعادة)، يحمون معسكرهم المقابل بروائح نتنة لبراز كلبهم، أو ببرازهم الشخصي، مُعولين على مزاج المراهقات المعكر، وإصابتهن السريعة بالخيبة من روائح كتلك. وبين كرٍ وفر، وهدم وبناء وطفولةٍ وفتوة، كَبرنا وثقلت أجسادنا، صرنا نخاف فوارق الضمور والبروز بيننا، وحل صمت وخجل وحالة من النفور، لم نعد نفترش الأرض مكدسات بجانب بعضنا وأرجلنا تتلاطم، كنّا نعد النجوم ولا نجزع، إلا من بثورٍ قيل إنها قبلة النجم على أيدي الصغار، أحرارٌ أكثر من كعب أخيل لا نخاف الخديعة، لا نشكو من شوك كأنه شامات سوداء، ولا يضيرنا كثيراً التراب العالق بقاع القدم.

يُحبُ الفتيان الكلاب، وتهوى المراهقات القِطط، يعشق الفتيان بنات الحارات البعيدة، وتحب المراهقات الأصوات الخشنة الكاملة لرجال عابرين، نتقاتلُ (كنّا) كلَ صباحٍ على أبواب المدارس، يكتبون أسمائنا على الجدران متبوعة بأوصاف وإشارات، ويحفرون قلوباً على أشجار الزيتون لحبيبات محتملات، ونحن نتخابث ونغير الحروف خلفهم، ونعبث بالرسائل المتروكة، يلقون في معسكرنا الصيفي في سفح الجبل بروث حيوانات، ويبعثرون الدائرة المحكمة، لكن عندما كسرت قدم أحدهم مصادفة، كنا نعلم، وصار يعلم أي عقاب تستجلبه الفتيات النافرات، وكم سيدفع الفتيان ثمناً لاختراقهم مملكة اليمامات، يحبّون الشاي على النّار، ونحب الخبز المحمص بالزيت والملح، يشربون الماء السائل بخفة من شقوق الصخر، ونرشف الماء من خلال وشاحٍ لنحمي أرحامنا من العلق، يسخرون من حذرنا الشديد ونحن نتسلق الأشجار، ويتضاحكون بخبث كلما انحنينا، يلقون على أبواب معسكرنا بعصا موسى السوداء ميتة، ويحشون جيوبهم بالخنفساء (أم علي)، يرشونها علينا، ونحن ندعي النوم على الصخور النظيفة، تبدو أجسادهم أميل للطفولة، ونبدو كَسيّدات صغيرات يُثرّن غيرتهم، موجة فرح تصيبنا كلما مَر بنا العشاق الثلاثة (طلبة معهد المعلمين)، بقامات طويلة ونحيفة، وذقونٍ حليقة وابتسامات واسعة وعطورٍ باذخة، اعتدناه نهاية كل أسبوع يفوح في حارتنا، يقتربون من معسكرنا الأنثوي بهدوء، منادين علينا بأسماء التصغير والدلال، يتحدثون عن مدينة جميلة اسمها رام الله (تصير دفعة واحدة دهشة جماعية)، نبالغ في الرقة نكاية بالفتيان المنكمشين الآن خلف الصخور يترقبون رحليهم، وطامعين ببقايا سجائر يلقيها العشاق، نصنع لضيوفنا شاياً على النار، ونترقب المعركة اللسانية القادمة مع الفتية الضامرين المتخفين خلف الصخور.

يغادرنا العشاق وقد تركوا لنا إيماءات حلم طويل الندى، ويختفون بعيداً نحو قمة التلال، نشعر كم الفتيان ضعفاء حينها، ويدركون كم نضجنا بما يكفي لنسرح الشعر الطويل في الهواء الطلق، ولنخلع أحذيتنا ونرقص على الصخر دون اكتراث بأصواتهم الرفيعة الحادة كالصفير.

سربُ الحمام يطير منخفضاً، يتحضر الفتيان بمقالعيهم المطاطية، ونستعد للدفاع عن اليمامات، ونحن نصرخ بهن ليطرّن للأعلى، ونرفرف بأكفنا لتقلدنا اليمامات، ومع ذلك يتصارخ الفتيان فرحاً وهم يلقون القبض على حجلة صغيرة وقعت فجأة في معسكرهم، نفشل في إنقاذها، وأشدهم شراسة يخلع رأسها بقسوة بقبضتيه ويمسكها من أرجلها، ينعفُ دمها فوق صخورنا النظيفة وأقدامنا العارية.

كان الدم آخر العهد بيننا، التزمنا البيوت حينها، وكبر الفتيان بعيداً عنّا، تباعدت مدارسنا الثانوية، وصارت مواعدينا الصباحية الرطبة من نصيب باعة الترمس والفول، شباب ناضجون ووسيمون يبالغون في تسريح شعورهم، وفي التدخين المبكر يحول صباح خيرهم لسعلة جافة قليلاً، غارقين بالسواد، يفشلون باختيار عطورهم، ومع ذلك يمرون بنا واثقين بملابس ملطخة ببقع زيت وأحذية قاسية (طلاب المعهد المهني).

أكاد أجزم أن المراهقات لا يعشقن الطبيعة إذا خلت من الذكور في لحظة ما، وكنت واحدة منهن، يكرهن الطعام الساخن جداً والغامق، وينجذبن لكل قصةٍ حزينة وساذجة، شديدات السخرية والانتقاد، وافرات الحس بنشوء إنوثتهن.

في الطريق الطويل إلى رام الله (الحلم)، كنت قد فقدت دهشتي المكدسة نحو المدينة، وطال البعاد بيني وبين تلال مدينتي وترابها، تلفحني الأرض المحروثة برائحة صاخبة، وأستعيد على نحو مرتبك معسكر الفتيان والمراهقات، البعيد جداً، كم من الندم يقف بين قلبي وكفيّ، لوقت انشغلت به عن التطلع للسماء وشم الأرض والإحتفاء بغيم قاتم، كم أحتاج لأدس قدمي في طين رطب، وكم اشتقت لشوك نافرٍ في جوانب الطريق، أفحص به حواس أناملي.

كنت أهوى الحمام، أراقبه لساعات وهو يطير ويرتفع في برج صنعه أبي على عجل، كم أمضيت من سنوات أحلم بحمامة تحط على كتفي طائعة وحرة. وكم شعرت بالغيظ كلما التهم أبي بمتعة زغاليل حمامتي، كدر تنامي على شكل كابوس ليلي غامض، الحمامات تنقر رأس أبي، لم أعلم ان منطق المراهقات قابل للموت، وفرحهن له نهاية غير محددة تماماً.

سربٌ من حمام يطير منخفضاً، محاريثَ ضخمة تشقُ اللوّن الباهت للأرض، فينفجر بنياً غامقاً بهيجياً، يطرب الحمام، يميلُ فتلمعُ موجة بيضاء، يرتد لأعلى فتتشكل غيمة رمادية، ينضج أحد الفتيان بسرعة، ويصوب بندقيته نحو الحمامات، تهج الحمامات دفعة واحدة وتتفرق مبعثرة، أبحث عن كفي، أجدها قد سقطت في حقيبتي الجلدية مع كومة من الريش الدامي.

amalwehda@yahoo.com

الرَصد: حارس الكنز في الحكاية الشعبية، ولا تفك طلاسمه إلا بتحقيق الشرط المضمر في قلب من رصد، يحمي الرَصد ل ٣٠٠٠ عام، ثم ينفك تلقائياً.

عصا موسى: دودة سوداء، تحمل مئات الأرجل الدقيقة، تتكور لمجابهة اي إعتداء، ولها خرزة برتقالية في عنقها، تصدر رائحة نتنة إذا هشمت.

أم علي: الخنفساء البرتقالية المرقطة بالأسود، حشرة بهية ومباركة كما تشير الجّدات.

زقـــاق

حزامة حبايب

تذهب هذا الصباح إلى السوق، جسدها الذي يشي بخلفة كثيرة وأعمال منزلية أكثر، يسبقها إلى أصوات الباعة المكتظة والدكاكين المتنافرة وعربات الخضار البهيجة الألوان. تتأرجح سلّة الخضار البلاستيكية الفارغة قريباً من قدميها دون أن ترتطم بأيّ من المارة من حولها، خطواتها سريعة، تعرف هدفها بوضوح، تتابع انحناءات الأزقّة المتداخلة بذهن شبه غائب. تتوقّف عند بسطة أبو فتّوح التي تعرض محافظ جلديّة رخيصة وأمشاطاً ودبابيس شعر، سكاكين وأربطة أحذية وزجاجات عطر، علب إبر وليف جلي وزجاجات شامبو كبيرة وميداليات خشبيّة. تشتري رباطاً لحذاء الصغير فراس، ومشطاً بلاستيكياً ذهبياً لعبير، وميدالية خشبية منقوشاً عليها حرف العين للشقيّ عليّ. تُساوم أبو فتّوح على السعر، لكنها لا تفلح كالعادة، تسأله عن أم فتّوح وعن صغيرته هناء. «بخير؟»، «الحمد لله».

تستسلم لصوت أبو رياض الأجشّ، يناولها كيساً تضع فيه حبّات البطاطا التي تنتقيها بنفسها بعناية، يسألها أبو رياض عن صحة العيال، يرفع من تحت عربته الخشبيّة الزرقاء صندوق بطاطا نخب أوّل، يحتفظ به لزبائنه المميّزين. تستحسن الحبّات المكتملة الاستدارة بقشرتها العسلية الفاتحة والناعمة. يطلب منها أن تكلّم زوجها «الله يخليه ويعمر بيته»، ليكلم عايد أبو السمن بشأن تجديد ترخيص عربة الخضار. يرتجّ زندها الممتلئ وهي تختار حبّات البطاطا برويّة، فيما يهتز رأسها علامة على الإصغاء التام. تسأله ما علاقة عايد أبو السمن بالموضوع. يقول لها إنه يعمل في البلدية، وعلى علاقة جيدة مع الشخص المسؤول هناك عن قسم تجديد التراخيص. تؤكّد له أنّ عايد أبو السمن «ما بيمون على صرمايته»، ومع ذلك ستخبر زوجها بالأمر. «تكرم يا أبو رياض». تضع الكيس في قاع السلة البلاستيكية، تخرج محفظة نقودها من صدرها وتنقده ديناراً ثمن رطل البطاطا، يحلف أبو رياض عليها: «خلّيها علينا». لكنها تصرّ: «هذه رزقة أولادك يا أبو رياض».

تؤكّد للحاج فهمي، أنها تشتري كيلو اللحم الروماني بدينارين وخمسة وستين قرشاً. «والله العظيم». فلماذا يبيعه لها اليوم بدينارين وثمانين قرشاً؟! يقول لها: «صادقة!». ويقسم بألاّ يردها خائبة. يزن لها كيلوين. ثم يزن لها كيلو لحمة مفرومة، يشتكي لها من ابنها ضرار ذي الأربعة عشر عاماً. ضرار يتعمد أن يقذف الحجارة على عشّ الحمام المقام فوق سطح بيت الحاج فهمي. ولولا العشرة والمعزّة لـ....، لكن الحاج فهمي يستغفر الله ولا يكمل. تطلب منه أن ينظّف اللحم من الدهن تماماً، وتعده بأن تربّي ذلك الشقي، وإن لم يرتدع فستكلّم أباه بشأنه. «وما يصير خاطرك إلاّ طيب يا حاج».

تقطع شوارع السوق الضيّقة ببطء. تتفادى الاصطدام بالمارة الكثيرين، برشاقة معزّزة بالخبرة وحسن التصرّف. سلّتها تثقل تدريجيّاً، تنقلها من إحدى يديها إلى الأخرى، ثمّ من اليد الثانية إلى الأولى، في محاولة لإراحة الكتفين بالتناوب. تلتقي أمّ عمّار. تتعانقان، مفاجأة سارة، تؤكّد كل منهما للأخرى. «وين هالغيبة؟» تتعاتبان. تعترف أمّ عمّار بأنّها مقصرة لكن، «ظروف!» تسألها أم عمّار عن الأولاد، تسألها عن ابنتيها نائلة وريّة، تركز على الكبرى؛ ريّة! تبتهج. تقول أم عمّار بصراحة إن ابن أخيها المقيم في أميركا منذ عشر سنوات يبحث عن بنت حلال مستورة. وهل يوجد مثل بناتها؟ أدب، وكمال، و«عيلة»! تبتسم بخجل، «الله يجيب إللّي فيه النصيب».

تنصت لأبي عزام باهتمام، يقول لها إنّ ليلة أمس لا تُنسى، تكمش فاصوليا خضراء، أم عزّام كعادتها تستيقظ بعد منتصف الليل صارخة، تقول: «راح يقتلوني، راح أموت». تتجمّد يداها بعض الشيء، ثم تعاود الكمش، تزيح العروق الصفراء جانباً. أبو عزّام لا يستطيع أن يفهم ما الذي يحدث، يسأل أم عزّام عن أشكال القتلة الذين يزورونها بعد منتصف الليل، تقول له إنهم طوال القامة، ضخام الجثث، سود البشرة، بشعور طويلة جعدة وعيون حمراء بلون الدم. تزن في كيس آخر أربعة كيلوغرامات بندورة، المشكلة أن أم عزّام لم تعد في الآونة الأخيرة تطيقه، إنها تقول هذا علناً، ثمّ يهمس لها قائلاً إنه لم يقربها منذ شهرين، والأولاد لا يفهمون ما الذي يحصل لأمهم، يبكون حين تبكي، ويصرخون حين تصرخ. «وأنا ضايع بينهم». تُشير عليه بأن يأخذ أم عزّام إلى الشيخ محي الدين، يقرأ لها القرآن ويُعدّ لها حجاباً يغلق الباب في وجه زوّار منتصف الليل الغريبين، الشيخ محي الدين مشهور، أطبّاء ومهندسون وأساتذة جامعات يقصدونه من كل مكان، «وهوّنها بتهون يا أبو عزّام، الله كريم».

تسأل أبو حسّان عن صحة أم حسّان والأولاد، تشعر بشيء من التردد والحرج، لكنّها لا تستطيع أن تقاوم فضولها، تسأله عن ابنته أسماء، يزن لها كيلو زعتر أخضر يكلّفه بالسمسم والسمّاق، يهزّ رأسه بأسف، مؤكداً أن لا شيء تغيّر، ثم يحلف أنه لن يعيدها إلى زوجها إلا بشروطه هو. يزن أوقيّة قهوة، ترجوه أن يستهدي بالله، يزن أوقية قرفة وأوقية بهارات، يقسم ثانية أنها لن تعود إلى «الكلب» إلاّ إذا أمّن لها بيتاً مستقلاً، وأرجع لها مصاغها الذي استولى عليه بحجة شراء سيارة. يزن أبو حسّان نصف كيلو جوز، تطلب منه أن يدع للصلح مكاناً، وألاّ يخرّب بيت البنت بسبب العناد، لا بأس من التنازل قليلاً. «آخ يا أبو حسّان. همّ البنات للممات، والبنت مش كل يوم بتتزوّج».

لا تأبه للزحام الذي يتفرّع من حولها دون انقطاع، تضع سلّتها على الأرض، توزّع أكياس الخضار فيها بانتظام، تهمّ برفعها ثانية، فترتطم ساقها بفخذ صلبة، تستدير، يقف وراءها شاب يبتسم بخبث، تفكّر بأن تقول له ما قد تقوله امرأة في هذه الحالة: «عيب، أنا مثل أمّك». لكن لسانها يتيبّس، الكلام لا يصعد من داخلها إلى حلقها، وقبل أن تفكر في أيّ شيء آخر، يعمد الشاب، بوقاحة وجرأة أكبر هذه المرة، إلى الضغط بكل راحة يده وأصابعه العريضة على أحد ثدييها، ثمّ يمضي مسرعاً. تنظر حولها، لا يبدو أنّ أحداً ينتبه، رجفة هائلة تغمرها، أشياء كثيرة تتناثر منها، لا تتمالك السيطرة على أعضائها، تفلت سلّة الخضار من يدها، ذراعاها متخدّرتان، ساقاها مرتخيتان، يزحف فيهما تنميل بعيد وبطيء، ينشط تدريجيّاً، ثمّ فجأة، تشعر بطنين يتعاظم في أذنها.

المرأة التي تعرف كيف تسيطر على حملها الثقيل دون أن يتمايل جسمها ويفترّ وقع أقدامها على الأرض، والتي تعرف كيف تسير مع انحناءات الشوارع الفرعيّة وتساير الإلتواءات والتمعجات ومفاجآت الأزقّة المعتمة، المرأة التي تحفظ محتويات الدكاكين العتيقة ووجوه الباعة الأزليين، والتي تشعر وسط زحام السوق ورجالاته العديدين بطمأنينة وإحساس بالحماية، مكتسب من ثمانية عشر عام زواج وثلاثة أولاد وخمس بنات، تتألم، تتألم كثيراً، وتشعر بخجل وخزي، حين تكتشف أن تحرّشات الفتى بها في الحقيقة توقظ فيها نشوة خبيئة، عارمة!

مرآة تمضغ أزرار ثوبي

مختارات شعرية لشاعرات من العالم

ترجمة محمد حلمي الريشة وماسة محمد الريشة

«عَلَى الرَّغْم مِنْ أَنَّهَا لَيْسَتْ سِوَى أَنْفَاس، فَإِنَّ الكَلِمَات الَّتي تَصْدُرُ عَنِّي أَبَدِيَّةٌ!». بهذه العبارة للشَّاعرة الإغريقية سَافُو ٦١٠ – ٥٨٠ ق. م، يُدخلنا الشَّاعرُ والباحثُ والمترجمُ محمَّد حلمي الرِّيشة، والمترجمةُ ماسَة محمَّد الرِّيشة، إلى مختاراتهما الشِّعريَّة المترجمة، عبرَ كتابهما الَّذي صدرَ مؤخَّراً بعنوان: «مرآةٌ تمضغُ أزرارَ ثوبي، مختاراتٌ شعريَّةٌ لشاعرات من العالم»، والَّذي ضمَّ نصوصاً شعريَّةً لـ١٦ شَاعرة من دول مختلفة في هذَا العالم هنَّ:

أليس وولكر، أفريقيا وأمريكا، آن سيكستون أمريكا، آنجيلا غارسيا كولومبيا، تشاي يونغ مينغ الصِّين، جوان ماريا مكنالي بريطانيا، جون إر الصِّين، جويس منصورفرنسا، رباب محب إيران، روزا جمالي إيران، شويشنغ تشوليان الصِّين، شيما نثاري حقيقي فرد إيران، لورين مندينوتا كولومبيا، لوسيا إسترادا كولومبيا، ماري كاشيواغي اليابان، ماسايو كويكي اليابان، هيرومي آيتو اليابان.

صدرَ هذَا الكتابُ مؤخَّراً عَن دار الجندي للنَّشر والتَّوزيع في القدس المحتلَّة، وبالتَّعاون معَ الاتِّحاد العامِّ للكتَّاب والأُدباء الفلسطينيِّين، وقدْ وقعَ الكتابُ في ٣٤٨ صفحةً من القطع المتوسِّط.

علَى الغلاف الأَخير، يكتبُ الشَّاعرُ الفلسطينيُّ مُراد السُّوداني:

«يواصلُ الشَّاعرُ محمَّد حلمي الرِّيشة فعلَهُ الإبداعيَّ المحمومَ، والمحمولَ علَى التَّثاقف بإنجاز هذَا الكتاب المختلف، والَّذي يتضمَّنُ أزاهيرَ شعريَّةً مترجمةً من غير حديقة لشاعرات منَ العالم، وهذه المرَّةُ معَ كريمته المترجمة (ماسَة) الحاصلة علَى درجة الماجستير في الأدب الإنجليزيِّ، وهمَا بذلكَ يقدِّمانِ منتخبات تساهمُ في إسناد الوعي، وتوسيع دائرة الحراك المعرفيِّ في سياق التَّرجمة في فلسطينَ، وهُما يضيفانِ باقتدارٍ حجرةً شعريَّةً مغايرةً عبرَ هذه التَّرجمة النَّاجزة، ويمنحانِ المكتبةَ الشِّعريَّةَ والعربيَّةَ إضافةً مائزةً تمَّ انْتقاؤها بدقَّةٍ وعينٍ مدرَّبةٍ علَى اقتناص الجماليَّات وتعميمها.

إنَّ هذه التَّرجمةَ تتيحُ لنَا الاطِّلاعَ بعمق علَى تجاربَ شعريَّة مختلفة ومتنوِّعة، تعمِّقُ النَّظرَ في مفهوم الشِّعريَّة، وتمدُّ جسورَ التَّواصل والتَّثاقف معَ النَّسق الشِّعريِّ في العالم، بما يعزِّزُ دورَ الشِّعر وفاعليَّته في تخليق الجماليَّات في منازلة سلالات القبح والانكسار.

جهدٌ عالٍ اجترحاهُ معاً؛ كريمةُ الشَّاعر والشَّاعرُ، والَّذي ينضافُ إلى مشروعه الإبداعيِّ، وحراثته لحقل الشِّعر بكدٍّ وإصرار يستحقَّان الانتباهَ والدَّرسَ والتَّقديرَ».

أَمَّا الشَّاعرُ والكاتبُ المغربيُّ أحمد الدِّمناتي، فقدْ قدَّمَ الكتابَ تحتَ عنوان «مزارُ التَّرجمة في حضرة الشِّعر» بقوله:

«مرآةٌ تمضغُ أزرارَ ثوبي» ليستْ مرآةَ «نرسيس»، ولاَ «كيليوباترا»، بلْ مرآةٌ شعريَّةٌ، جماليَّةٌ، إبداعيَّةٌ، يَرى فيها الشَّاعرُ محمَّد حلمي الرِّيشة وجهَهُ، وقصيدتَهُ، ومعناهُ، وروحَهُ، وفرحَهُ، وغبطتَهُ، وشغبَهُ، وهدوءَهُ، وفوضاهُ. اختيارُ المرآة انحيازٌ عميقٌ لرؤية مَا لاَ يُرى بالعين، بلْ بالقلب، والحواسِّ، والرُّوح أيضاً.

في هذه النُّصوص الَّتي اختارَها الشَّاعرُ/ المترجمُ، وبمشاركة ابنته الأدبية المُترجمة، ولو أنِّي أُركِّزُ في تَقديمي هذَا علَى الشَّاعر ذاته لما أُبيِّنُهُ هُنا، وبعناية فائقة، مَرايا متعدِّدةٌ ومتنوِّعةٌ، مقعَّرةٌ ومحدَّبةٌ، ومصقولةٌ ونقيَّةٌ، تُبرزُ صفاءَ اللُّغة الشِّعريَّة في نقائها الأَبديِّ، وتعتمدُ الغوصَ السِّريَّ والبهيَّ في خُلجَان ساحرة تَرى في العمق الشِّعريِّ قَدَرها ومصيرَها.

إنَّ عمليَّةَ المضغ الَّتي تُمارسها المرآةُ لأَزرار ثوبه، تجعلهُ يتعرَّى جزئيّاً منْ فرط الدَّهشة والشَّهوة، في مواجهة مَرايا شرسة، هيَّجتْ حنينَه وفضولَه ليتملَّى فيها، ويَبقى واقفاً بجانبها؛ ففي التَّملِّي تأَمُّلٌ، وفي الوقوف استراحةٌ قصيرةٌ ليستردَّ

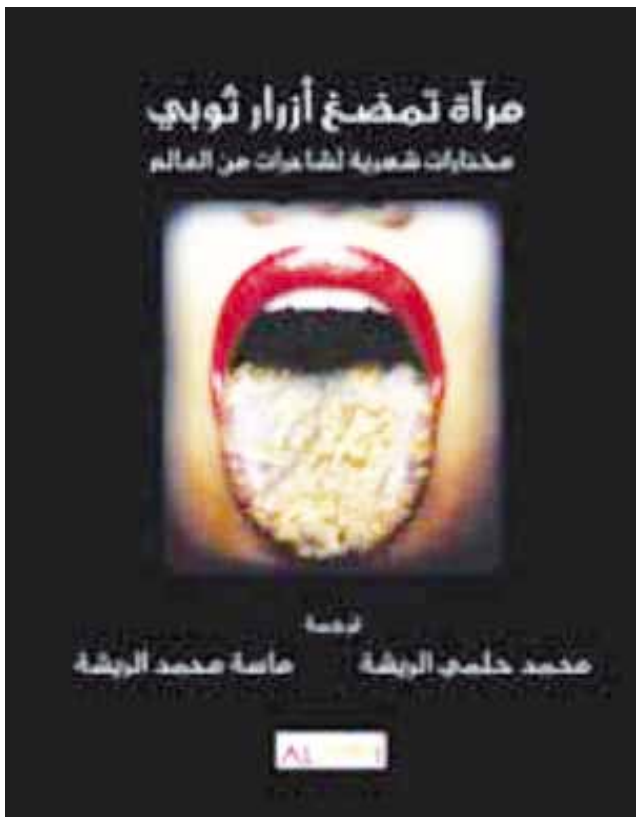

أَنفاسَه الَّتي تلهثُ كثيراً وهيَ تتابعُ فراشات النُّصوص المَّلونة منْ حقل إلى حقل، وفي السَّفر مَا يجعلُ القلبَ ساعةَ العالم، تحسبُ دقائقَ الكون منْ خلال اللُّغة والمعنَى.

في هذَا الكتاب، يواصلُ الشَّاعرُ والمترجمُ محمَّد حلمي الرِّيشة مسيرتَهُ الإبداعيَّةَ، واختياراتهُ الجماليَّةَ، بجدِّية مفعمة بحُسن التقاط تفاصيل ذاكرة الشِّعر العالميِّ، منْ خلال ترجمة نصوص شعريَّة، يجمعُ بينَها مَا هوَ شعريٌّ وفلسفيٌّ، ومَا هوَ جماليٌّ ورؤيويٌّ.

مغامرةٌ أُخرى، غنيَّةٌ وشيِّقةٌ، تضافُ إلى أَسفار ورحلات هذَا «المشاغب البهيِّ»، لاَ تكترثُ لمآزقها، باعتبار التَّرجمة في عمقها تنْصبُ الفخاخَ والمكائدَ، لكلِّ مَن يقتربُ منْ عرينها، كأَنَّ التَّرجمةَ لبؤةٌ شرسةٌ، عنيفةٌ، تخافُ علَى أَشبال نصوصها منْ مرافقة المترجم «الخائن»، الَّذي يخونُ بياضَه في الكتابة والقصيدة والحياة، فمَا بالُك بترجمة نصوص لهَا نفحةُ الحكمة العميقة وشطحاتُ المتصوِّفة، واختزالُ العبارة الشعريِّة، والاقتصادُ اللُّغويُّ المكثَّفُ، كأَنَّ القصيدةَ تصارعُ يُتْمَها لأَجل بقائها في أَرخبيلات المعنَى.

لهَا الغوايةُ في الاقتراب منَ النَّصِّ بحذر، خوفاً منَ الانزلاق في منحدر المتعة ومعاشرة المجهول الأَنيق، في نقل قصائدَ منْ لغة لأُخرى عبرَ جسر المحبَّة والفتنة أَيضاً، وتأَمُّل المغارات النَّيئة، والهجرة بينَ فجوات المعنَى والعتبات الَّتي تُفضي إلى فضاءات القصيدة البهيَّة.

اختيارُ النُّصوص الشعريَّة عمليَّةٌ متعبةٌ؛ الحواسُّ تشحذُ ذاكراتها الطِّفليَّةَ، والقلبُ ينصتُ لمتاه الكلمة في عنف تواجدها داخلَ غرفة النَّصِّ. إنَّها قيامةُ النُّصوص الَّتي تقودُ شهيَّةَ القلب إلى باب الرَّغبة، ومفتاح المعنَى، وبوصلة العين، وخرائط شهوة مصاحبة البياضَ في تحرُّكه وجموده، وحزنه وسعادته أَيضاً.

شاخت اليدُ، قبلَ أَوانها، في تتبُّع مسارات شاعرات أتعبتهنَّ غبطةُ القصيدة، وهيَ الملثَّمةُ بألف حجاب وستار، والشَّاعرُ والمترجمُ محمَّد حلمي الرِّيشة مثلَ حكيم، أَو ممسوس، أَو مجنون، أَو طفل، يفتحُ بابَ الغياب علَى زبد المعنَى، ولاَ دليلَ لهُ في ظلمة التِّيه والسَّهو والمحو والمجهول، إلاَّ نورٌ ضئيلٌ يشعُّ منْ بهو القصيدة مضيئاً عتمةَ النَّفس.

حافياً يتأَبَّطُ محبَّتهُ لحكمة الـ«هايكو»، وإن أُدميت القدمُ في المشَى والمسير نحوَ الفتنة لإطفاء شهقة الرُّوح، مضيئاً في ترجمته، ساحراً في نصِّه؛ يُدرِّب مَنا في الكلمات علَى التَّأَقلم معَ قدَرها الجديد، ومعَ بياضها المختلف، ومعَ أَرضها المغايرة، نداءٌ يُرحِّب بمزار التَّرجمة في حضرة الشِّعر».

انتهت اللعبة

ديما أحمد صالح

ضاقت ذرعاً من اللوحة المعلقة على أنفاسها، ضاغطة على صدرها، تحاول تكميم فمها، تعصيب عينيها، وشل حركتها. هي غير راضية عما تراه فيها، تلك الطفلة التي في الزاوية، كبرت، تعلمت الكثير داخل أسوار المنزل والمدرسة، سكبت ما تعلمته في قمامة النظريات الخاطئة، عندما خطت قدماها ما بعد هذه الأسوار.

تُذكر أنها هرعت للحياة بفرحة طفل يحاول السير لأول مرة، فيقف، ثم يسقط، ثم يقف، فيسقط، ثم يقف فيخطو إلى الأمام بخطوات حذرة، ليجد يدين تتلقفاه بفرحة، وسط تصفيق الجميع. لكن مع فارق بسيط بينها وبين هذا الطفل، هذا الفارق أن فرصة الخطأ لها صفر، فإن سقطت، ستجد عندها ألف لسان يجلدها بسياطه، وألف يد تتحد لتمزيقها، فتسمع عندها كلمة واحدة!

انتهت اللعبة
لرسالة من إبن الجيران سقطت في يد والدها
انتهت اللعبة
لتخصص مُمل
انتهت اللعبة
لحبيب لا يستحق لقب حبيب
انتهت اللعبة
لأصدقاء الغدر
انتهت اللعبة
لإختيار متسرع
انتهت اللعبة
لمجتمع غبي
انتهت اللعبة
لمسلسل الخيبات التركي
انتهت اللعبة
للموت الذي طال انتظاره

لن أسمح للوحة أن تتحكم بمصير هذه الفتاة.

نهضت، وبكل الحقد الذي بداخلها مزقت اللوحة، وقد إتخذت قرارها في أن تُعيد رسم اللوحة.

قضت الليل بطوله ترسم لوحتها.

حينما أطلت أول خيوط ثوب النهار، كانت قد حزمت أمتعتها متخذة قرارها بالرحيل.

ألقت نظرة أخيرة على اللوحة، ابتسمت برضا، ثم غادرت.

عند تمام الساعة الثامنة، جاء صاحب اللوحة، كما هي عادته، لُيلقي تحية الصباح على ما يملك. نظر إليها بشوق الحبيب لحبيبته بعد طول غياب، لكن الشوق تحول إلى إرتياع من هول ما رآه.

رأى ما لم يتوقع أن يراه حتى في كوابيسه.

كانت جدته، جدته المتوفاة منذ خمس سنوات.

عادت إلى الحياة!!

نظرت إليه بعيون مبتسمة، نهضت من كرسيها المتحرك بجسد قوي ورشيق، بدأت التجاعيد تختفي عن وجهها، استعاد شعرها لون الليل، جدته في حالة معاكسة لقانون الطبيعة، ها هي تعود إلى أيام الصبا، تمحي جميع أخطاءها، اختياراتها، ها هي تعود مراهقة، طفلة، رضيعة، صوت بكائها يهز أرجاء المكان،

أختفت الجدة تاركة الرجل في حالة من الذهول، وقد كسى رأسه البياض.

الصفحة الثقافية

الأديبة سماح الشيخ:

الهم النسوي يلح عليّ في الكتابة فيشكل دافعا لي للإبداع أدباً وفناً

خاص صوت النساء

- الأستاذة سماح كاتبة وفنانة ومبدعة هل من الممكن أن تحددي لنا الفنون الأدبية التي تكتبينها أو تمارسينها؟

– أكتب القصة القصيرة، المقال الأدبي، النص المفتوح على احتمالاته الشعرية، أو نصوص السيرة الذاتية. وأحاول في الرواية والنص المسرحي، وأحب أن أكتب للطفل، أدب أطفال أغنيةً ومسرحاً، قصة وشعراً، وأن أكتب للكبار. أسعى لتطوير أدواتي في الترجمة الأدبية عن وإلى اللغة الإنجليزية، وأمارس التمثيل المسرحي والسينمائي والمساعدة في الإخراج المسرحي.

- ما الأعمال المنشورة لك، مكتوبة أو ممثلة؟

– مع الأسف ليس لدي نصٌ مسرحي كامل من ألفه ليائه ممثل. مسرحياتي للأطفال لم تنشر أو يتم تمثيلها سوى في بعض المدارس ضمن أنشطة أو في ورش دراما لبعض المؤسسات، أو ضمن مسرحيات مرتجلة مع ممثلين آخرين. لدي قصة بعنوان «عودة السمان»، فازت بجائزة تشجيعية في دورة الكاتب أحمد عمر شاهين في جمعية الثقافة والفكر الحر٢٠٠٨. أعمالي القصصية والشعرية المنشورة هي: «الشكل المستطاع»، مجموعة قصصية عن مركز أوغاريت الثقافي، «غابة الحكايات» مجموعة قصصية للأطفال، (أمثولات) بالاشتراك مع الكاتب علي أبو خطاب عن جمعية الثقافة والفكر الحر، «خارج سياق النهر»، أنثولوجيا شعرية، بالاشتراك مع بيت الشعر الفلسطيني، شاركت في أنثولوجيا «Qissat» لكاتبات قصة فلسطينيات عن دار تليغرام في لندن، كما شاركت في مختارات «الإشراقة المجنحة» نصوص عن اللحظة الأولى للقصيدة، إعداد محمد حلمي الريشة وآمال عواد رضوان. أما المسرحيات التي شاركت بها كممثلة «كأنها لعبة»، «اعرف حدودك»، «احنا هيك أسلوبنا» و«تكتيك» لفرقة مسرح المشاهد، و«قصص وبقايا وطن» لفرقة مسافات، «السجرة» لفرقة مسرح للجميع، وأيضاً «كل شي تمام» لمؤسسة فكرة للفنون التربوية، وللأطفال: «لسه بتحلم»، «احنا والتانيين»، و«أبيض وأسود» لفرقة مسرح المشاهد، و«حكاية أنس» و«Game Over» تنفيذ فرقة فوانيس. عملت مساعدة مخرج في مسرحيتي «إحنا هيك أسلوبنا» و«تكتيك»، ومثلت في الفيلم الروائي «ماشو ماتوك» للمخرج خليل المزين.

- سماح مهمومة بالنسوية في مشروعها الأدبي، ولقد كتبت للكبار هل كنت تراعين فيها النوع الاجتماعي والأثر الاجتماعي في السلوك اللغوي، وحقيقة الفروق بين الجنسين لغوياً واجتماعياً؟ وهل تعتقدين أن المجتمع والرجل وراء هذا خاصة وقد قلت في قصتك « لغة» وكانت المفاجأة المقرفة التي رآها الجميع مرأى العين: ذكر يقيم وراء اللغة أعياها»؟

– أعتقد أني حاولت على مستوى الشكل وعلى مستوى المضمون أن أعكس هذا الهم. رغم إيماني بضرورة أن ينأى الأدب عن التنظير، وأن يكتفي الفن بطرح الأسئلة وترك الإجابة عليها للمتلقي، إلا أن الهم النسوي همّ إنساني يلح عليّ في الكتابة قدر ما يفعل حين أربّي أبنائي، فأشعر بوخزه دافعاً بحد ذاته للإبداع أدباً وفناً. لقد وظفت رؤاي النقدية للمجتمع كما لمدارس التحليل النفسي الذكورية، في خلق أبطال قصص مغايرين غرائبيين، خائفين من حقيقتهم الإنسانية غير المتكافئة من حيث النوع. لا أنكر أني في طور المحاولة، خاصة على مستوى اللغة، حيث أرزح تحت نير ذكورية معطيات قديمة، ساهمت في تكوين معرفتي الأولى (اللغة)، لا زالت تتوارى وراء وعيي الرافض لها، أحبو متثاقلة تحت وطأة ذكورية أضخم، شكّلت حياة جداتي تباعاً ولآلاف السنين، ذاكرة جمعية تملي ببؤس مفاهيم حياة غير عادلة للجنسين.

- كتبت للصغار هل كنت تراعين بها النوع الاجتماعي؟ ما أهم الأفكار والسلوكيات التي حاولت توصيلها أو تغييرها عند الطفل؟ وضمن مشروعك مستقبلاً، أي الأفكار التي تشعرين أنها باتت بالية ستعملين على خلخلتها؟

– جرّبت ذلك في مجموعتي وزوجي الكاتب علي أبو خطاب «غابة الحكايات»، لا أقدر أن أحكم بنسبة نجاحنا الآن. لكن المسألة تشبه بناء، من المستحيل خلخلة رأسه أو الاكتفاء بهدم طابق أو اثنين، فالمطلوب إعادة بناء ونسف الأساسات البالية التي تعزز تمييز جنس عن آخر. جل معطياتنا بالٍ، آسفة لذلك. أطفالنا يبرعون في التمييز السلبي، انطلاقاً من مفاهيم مادية خاطئة تكرس البرجوازية، إن لم يكن الطبقية، وتنظر للشكل متناسية المضمون. لقد أصبحنا في زمن يخجل فيه من ليس معه من ضيق حاله، بدل أن يُخجل من معه حتى يتيسر حاله. الأطفال يخجلون من أقرانهم إذا لم يلبي الأهل متطلباتهم المادية، ليس في أساسياتها وحسب، بل في أعلى مستوى رفاهياتها، وكأن نقصاً يشوبهم ويضعف من قدراتهم. يعزز ذلك معظم حكاياتنا الشعبية والعالمية، حيث لا بد من أمير للزواج به في قصر وسط خدم وحشم، ولا فرار من أن تكون العروس غاية في الجمال الشكلي، مكرساً أن المرأة جسد، في بيئة تدعو للكسل وللمعجزات لتحقيق الأحلام، ثم نبذ الآخر غير الجميل والشرير بالضرورة، فإما خير مطلق وإما شر كذلك. أضرب مثالاً هنا بإحدى الأفكار السلبية المجتمعية في غزة، راغبة في السعي لتغييرها: النظرة السلبية للمرأة التي لا تضع حجاباً على رأسها.

- هل رفضت بعض كتاباتك من النشر، لأنك حاولت بها أن تغيري بعض الأفكار أو السلوكيات التي اعتاد المجتمع عليها بالنسبة للنوع الاجتماعي، ولذلك كتبت في قصة» هدية حالكة» بعد أن علمت استحقاق المجاري لهذه الكتابات العظمى، نزلت بروب النوم حافية إلى الشوارع... «، وهل كتابات الرجل في المنطقة ذاتها مقبولة ومقدرة؟ وهل يؤثر هذا على أداء الكاتبة فتحرم العالم من نور كلماتها كما ذكرت في القصة؟

– هنا العدالة في الظلم كما يقولون، فالرجل والمرأة يكادان يقتربان في مسألة خطورة تجاوز الخطوط الحمراء في السياسة مثلاً، وحتى في الكتابات التي يتم تأويلها بشكل لا يوافق التأويل الديني السائد. طبعاً يبقى العبء الأكبر على المرأة بالذات إذا لامست قضيتها بوضوح رؤيا. كم من كاتبة لم يُعلم عنها أو عن نصوصها للسبب نفسه. هناك عصور بأكملها في مساحات جغرافية شاسعة لم يكن للمرأة فيها أن تكتب أصلاً. بالنسبة لي، أزحت ما يمكن إزاحته من الشبكة العنكبوتية، وأجّلت نشر معظم ما يثير جدلاً مجتمعياً إلى أجل غير مسمى. بعد أن تم إعدام جميع نسخ مجموعتي الشعرية الأولى قبل توزيعها، خوفاً مني ومن المؤسسة الناشرة من ردة المجتمع الفكرية المتنامية، وبعد أن رفضت مجموعتي ذاتها من قبل دار نشر عربية، لم أواجه رفضاً منذ حينها لأني في الأصل لم أتقدم لجهة بنشر ما قد يخلق صدمة فكرية للقارئ. قرار مني واعتراف صريح بالخوف لا أخجل منه، خاصة في ظل إهمال قلمي وإغفال تجربتي الأدبية، الأقل جدلاً، من قبل كيانات أدبية غزية بعضها «نسويّ»، لأني باعتقادي أكسر التابو بشكل يتجاوز الخطوط الحمراء، التي ترسمها تلك الكيانات للمرأة.

– هل هناك قصص قمت بكتابتها ولكن تشعرين انك لا تستطيعين نشرها فما زالت حبيسة الأدراج؟ ومتى ستنتهي صباحات الخوف (من قصة صباح من خوف)؟

بالطبع ما هو حبيس يفوق بمراحل ما هو منشور أو في طريقه للنشر. عذراً للتشاؤم ولكن صباحات الخوف في طريقها للبدء مع «ثورات» ما يسمى بـ«الربيع العربي»، التي، وآسف لذلك، قد تكون بداياتها تمرداً على الظلم، إلا أنها لا تقوم وفق حالة وعي، وإنما تسير بتخبط يؤدي إلى جلب الاستعمار للبلاد العربية، أو إغراقها في حروب أهلية ودينية، أو الاثنتين. الدول العربية في طريقها لتصبح صومال ثانية وثالثة ورابعة، نزاعات وجوع وتطرف. المنطقة العربية والإقليمية المحيطة برمتها ذاهبة لمزيد من الراديكالية وتعميق الهوة مع الآخر، والغرب الإمبريالي أصبح معنياً أكثر من أي وقت مضى لمحاورة وشرعنة الحركات الجهادية والأصولية الظلامية. فأي صباح سيطلع؟

- في مجموعتك القصصية «الشكل المستطاع»، قالت بطلة قصة «تعثرت بقدرها: سقطت في النور»: «لن أفتح الباب. لن أرى النور»، «لن يصل النور إلى العورة، طالما أنا أركض بعيداً عن الباب». الأبواب أمام المرأة كثيرة، ما الدور الذي تعلبه القصص في تحطيم الأبواب (التابوهات) من وجهة نظرك؟

– مجرد السرد الذي يمنحه القص يشجع على البوح، وفي هذا تحطيم للباب الأول: الصمت ودخول عالم الكتابة. بعد ذلك يكون التدرج، عندما تقرأ الكاتبة قصتها بنفسها لحظة بلحظة، وتحاول خلق شخوص نصية تمنحها ما لم يتاح لها من مساحة، أو تمارس عليها مزيداً من الحصار فتتلمس الألم ومكمنه، أو تظل في دائرة التساؤل ونبش الاستفهامات حول المضامين الجنسية والدينية والسياسية.

- المسألة التي نحاورها قضية جوهرية تمتد في المكان والزمان، ولذلك كيف ترين من الممكن الآن الاستفادة من الأساطير، وقصص التراث في دعم أفكار النوع الاجتماعي؟

– إعادة القراءة، أطمح أن يُعاد قراءة الأساطير والقصص الشعبية بطريقة جندرية، تنصف المرأة وتتعامل معها ككائن إنساني من الدرجة الأولى. أشتغل حالياً مع زوجي على مشروع يعيد قراءة الحكاية الشعبية الفلسطينية بشكل تربوي أكثر، وليس فقط ينتصر لدور المرأة الصحيح. وفي الوقت ذاته نترجم كتاباً لأنجيلا كارتر التي صاغت الحكاية الشعبية وفق مفهومها النسوي.

- هل تعتقدين أن دمج النوع الاجتماعي مع أدب الطفل، من الممكن أن يكون له مردود على الأطفال وأفكارهم وسلوكهم في المستقبل؟

– المسألة بحاجة لتراكم الجهود، لا يمكن بين ليلة وضحاها أن يتغير سلوك الأطفال جذرياً. ولا ننسى أن طفل اليوم قد يكون شاباً بعد ثلاث أو أربع سنوات، ما يشعرنا بخطورة الأمر، وأهمية إعطاء هذا الجهد حقه بشكل عاجل، بالتوازي مع تعديل المناهج الدراسية المليئة بالإشكالات.

HEALTH

الدهون الثلاثية

تزيد جلطات القلب والوفيات المفاجئة

أولاً: إن الدهون الثلاثية مركبات عضوية دهنية، يصنَع جزء منها في الجسم، ويمتص الجزء الآخر من الطعام، ويحتفظ بها لإنتاج الطاقة، وهي قد تكون في مجرى الدم، جاهزة لإنتاج الطاقة في الخلايا بنسبة قليلة، وما زاد عن حاجة الجسم فيخزنه على شكل شحوم موزعة في مناطق الجسم المختلفة، تستدعي عند الحاجة إليها وهي الغالبية العظمى، وإن زادت عن مستواها المقبول، فهي قد تتسبب في مشاكل عضويه كثيرة، ومن ضمنها المساهمة في انسداد شرايين القلب. والدهون الثلاثية قد تزيد وتنقص في نفس المريض حسب نوعية الأكل المستهلك، مثل السكريات والدهون الحيوانية، وقد لوحظ أنها ترتفع في من لديهم زيادة في الوزن، أو عدم الاستمرار على التمارين اليومية أو التدخين، أو بعض الأمراض الوراثية، أو تناول الكحول، أو بعض الادويه مثل أدوية حبوب منع الحمل، وبعض أدوية الإيدز وبعض أدوية علاج سرطان الثدي أو نقص إفراز الغدة الدرقية، أو بعض أمراض الكبد والكلى والسكري، وأخيراً الوراثة بنقص معين في الإنزيمات التي تتعامل مع هذه الدهون. وهناك نقطة هامة يجب توضيحها، وهي أن الكلسترول والدهون الثلاثية، كل منهما عامل مستقل للإصابة بأمراض شرايين القلب، فالدهون الثلاثية هي ثلاثة أحماض دهنية، مرتبطة بجلسرين تستخدم لإنتاج الطاقة في خلايا الجسم. أما الكلسترول، فهو مركب يشبه مركب الكحول إلى حد ما، وإن كان أكثر تعقيداً منه، وهو مهم لبناء الخلايا في الجسم، وبالذات الجهاز العصبي وبعض الهرمونات والعصارة الصفراء. ويشترك الكلسترول والدهون الثلاثية في عدم ذوبانهما في الدم، وعدم وجود طريقة طبيعية لإخراج الزائد عن حاجة الجسم، سواء من الجهاز البولي أو الهضمي، وكذلك كلاهما يتسبب في زيادة جلطات القلب والرأس وأمراض أخرى، إذا زاد عن المستوى الطبيعي في الجسم لفترة طويلة من الزمن. وأخيراً كلاهما الكلسترول والدهون الثلاثية يحتاج لناقل يسمى البروتين الدهني (lipoprotein) من وإلى الكبد والأمعاء والأنسجه الأخرى. ومن هذه البروتينات الدهنية مايسمى البروتين الدهني الثقيل الحميد HDL، وهو ينقل الكلسترول من جدار الشرايين إلى الكبد، ويعتبر نقصه في الدم من الأسباب القوية لسدد الشرايين بالكلسترول، ومنها البروتين الدهني الخفيف الضار LDL، وهو ينقل الكلسترول من الكبد إلى جدران الشرايين، وارتفاعه يساهم في انسداد الشرايين بالكلسترول

ثانياً: إن ارتفاع الدهون الثلاثية يزيد جلطات القلب والوفيات المفاجئة بنسبة ٤ إلى ٦ مرات، والجلطات الدماغية ٢ إلى ٣ مرات.

ثالثاً: إنه يمكن علاج المرضى المصابين بارتفاع الدهون الثلاثية، بالحمية الغذائية والتمارين الرياضية وإنقاص الوزن للمصابين بالسمنة. وأخيرا باستخدام الأدوية، ومن الملاحظ أن مجرد حدوث نقص بسيط في الوزن، من الممكن أن يحدث تغيراً كبيراً في مستوى هذه الدهون في الجسم، ويوازي في بعض الأحيان تأثير الأدوية على الدهون الثلاثية، ويجب التنويه إلى أن المأكولات البحرية وزيت السمك خصوصاً، يساعد على خفض الدهون الثلاثية، وبالذات إذا كان تناوله منتظماً.

رابعاً: كمقارنة بين خطورة ارتفاع الدهون الثلاثية وخطورة ارتفاع الكلسترول، فإن درجة خطورة ارتفاع الدهون الثلاثية على شرايين القلب أقل من خطر ارتفاع الكلسترول السيء، وهو بالتالي أقل خطورة من نقص الكلسترول الحميد، أي أن نقص الكلسترول الحميد يعتبر أخطر من سابقيه، ولكن تظل المسألة نسبية، وتتعلق بعوامل متعددة تحد من استخدام هذا المفهوم على إطلاقه.

خامساً: حسب الدراسات الحديثة، فان ارتفاع الدهون الثلاثية في الدم حتى بعد الوجبات، أي من دون صوم قبل إجراء التحليل، يعتبر علامة خطر، يجب التوقف عندها ومناقشتها مع الطبيب.

سادساً: ليس كل المصابين بالسمنة لديهم ارتفاع في الدهون الثلاثية، ولكن العلاقة بين زيادة الوزن وارتفاع الدهون الثلاثية تعتبر علاقة وثيقة. وخصوصاً من كان محيط جدار البطن لديهم أكثر من ١٠٢ سم في الرجال و٨٨ سم في النساء.

سابعاً: الارتفاع الشديد في الدهون الثلاثية، أكثر من ٨٠٠ ملغ، من الممكن أن يسبب التهاب البنكرياس الحاد، أو سدد أحد شرايين الشبكية في العين. وفي الغالب تجد عند فحص هؤلاء المرضى، أن هذه الدهون مترسبة في الجلد حول العينين والركبتين والظهر، ومن العلامات المميزة بعد سحب الدم من هؤلاء المرضى، أن تتكون فوق عينة الدم طبقه بيضاء بسبب تجمع الدهون الثلاثية.

ثامناً: هناك علاقة وثيقة بين ارتفاع الدهون الثلاثية ومرض السكري، وكذلك بمدى قابلية الإصابه بمرض السكري مستقبلاً.

تاسعاً: إن المستوى الطبيعي للدهون الثلاثية هو اقل من ١,٧ ملمول/لتر، وهو ما يعادل أقل من ١٥٠ ملغ/لتر، ويجب أن يقاس في جميع من هم فوق العشرين سنة، ثم كل خمس سنوات بعد ذلك في الأصحاء، وأما المرضى مما ذكر أعلاه، فيجب متابعتهم عن قرب حتى يتم التحكم في مستوى الدهون الثلاثية، وذلك بعد إتباع الخطة العلاجية المتفق عليها بين المريض وطبيبه.

هو و هي

من ثقبِ العالم

سامية العطعوط

اعتدتُ أن أرقبَ العالم من ثقب صغير. من ثقبِ الجريدة. كنت طفلاً صغيراً حين حملت أولَ جريدة لألعب بها. قضمتُ قطعةً منها، وأدخلتُ إصبعي في الثقب. لم ينتبه إليّ أحد، لكنّ أهلي وبّخوني فيما بعد، ولم أعرف السبب!.

حين كبرتُ قليلاً، أصبحتُ أحمل الجريدة وأصنع بها ثقباً محْكم الاستدارة، يكفي لعينٍ واحدةٍ فقط، وبدأتُ أرى العالم من خلاله. حاول أهلي جاهدين كي أمتنع دون فائدة. كانوا يتهامسون من حولي، وأحياناً يضحك إخوتي عليّ، ولم أدرك السبب.

كنت أستمتعُ كثيراً بالأمر، أحملُ الجريدةَ المثقوبة، أحدّدُ هدفي الذي أودّ مراقبته، ثم أجلسُ في مكانٍ مناسب، أراقب ما أريد لساعاتٍ طوال دون كَلَلٍ أو ملل، لم يكن ليقطع عليّ حبْل مراقبتي سوى اضطراري للذهاب إلى الحمام!! والغريب في الأمر، أن دهشتهم لم تعد تتعلق بتصرفي، بل في الأشياء التي كنت أراقبها. فقد كنت أحياناً أنظر إلى صورة جدي النصفية المعلقة على الجدار في الصالة. أرْقبُ تجاعيدَ وجهه، وعينيه الغائرتين، والحطّة التي يرتديها على رأسه. وقد أنظر إلى لوحة الخان العتيق الصفراء الباهتة، التي تيبّس ورقها وتغضّن سطحها بفعل الرطوبة والزمن. وفي أحيان كثيرة، عندما يجلس أبي معنا في المساء، كنت أنظر فقط إلى حذائه الضخم، الذي يمتد لأمتار طويلة في الصالة، أو أقلّ من هذا بقليل، فأنا لا أجيد تقدير المسافات بدقة!!.

في أحد الأيام، حين قاربتُ على العشرين، اتّهموني بالجنون!! كان هذا كثيراً منهم! كنت عائداً إلى البيت، حين طيّرتْ الريحُ جريدتي التي أحملها، فجلستُ على الرصيف أصرخُ بالمارة، علّ أحدهم يناولني جريدة ما لأثقبها، كي أرى الطريق من خلالها وأعود إلى بيتنا. في البدء ضحكوا عليّ وحين تأكدوا من لهجتي الجادة التي لا يخالطها هزل، أخذوني إلى البيت، وأكّدوا لأهلي بأنني مجنون. أريد أن أبعث بمشكلتي لصديق، ولكن لا توجد لديّ مشكلة. فالمشكلة لديهم هم. هل جرّب أحدكم أن يرى العالم من ثقب جريدة؟

وبعين واحدة فقط؟ أقول لكم إن هذا الأمرٌ ممتع جداً، ومثيرٌ جداً جداً جداً، جرّبوا الآن، أثقبوا جرائدكم، وانظروا كيف يصبح حتى الهواء قابلاً للتحول إلى ما تريدون.

فالأماكنُ والوجوهُ من ثقب جريدة، تصبح أشياءَ قابلة لأن نراها وأن نحبها.

لم أقل لهم لماذا أفعل ذلك مع أنهم حاولوا معرفة السبب، ولكني أقول لكم، بدون هذا الثقب أضيعُ أنا في الاتّساع، ولا أعرف كيف ألملمُ نفسي. بدون هذا الثقب، تصبح الرؤية معدومةً تماماً، كما في عاصفةٍ رملية في جنوب الأردن. أنا تَعِبٌ لأنهم أخذوا مني كلّ جرائدي، ولم يتركوا لي سوى ثقبٍ وحيد هنا، حين أنظر منه لا أرى سواي، لم أعد أراكم الآن بلا ثقب، أنا لا أرى شيئاً، لا أرى سوى ثقبي الذي يتسع، ونفسي التي تصغر كثيراً في هذا العالم. أنقذوني....!

زيتونة الحاكورة

هموم عادية!!؟

بقلم: عطاف يوسف

سألت أبي رحمه الله مرة، لماذا لا يوجد في الحاكورة الكبيرة سوى زيتونة واحدة، رد قائلاً والابتسامة تعلو وجهه، أن الحاكورة كانت مليئة بالزيتون، لكن جدك رحمه الله اقتلع بعضها وباعه حطباً أيام الفقر في ظل الاستعمار التركي، والباقي اقتلعته أنا لاستغلال الأرض في زراعة الخضار والحمضيات، بعد أن إكتشفنا أننا نستطيع أن نسقيها من ماء النبع، خاصة وأن تجربة في أرض قريبة منها اسمها «حراشة»، قد نجح صاحبها في زراعة الحمضيات نجاحاً كبيراً. أما لماذا لم يقتلع تلك الزيتونة، فكان جوابه أنها عزت عليه.

ظلت زيتونة الحاكورة قوية شامخة ووحيدة، وازدادت قوة بعد أن أصبح الماء يصل لجذورها من الأشجار والخضروات المحيطة بها، كنا نعتمد عليها في عمل الزيتون الأخضر، فحباتها كبيرة وجميلة، وكان للزيتونة استعمالات كثيرة، فكم شهد ظلها حفلات المسخن، الذي كانت أمي تعده في الطابون الموجود هناك دائماً. كنا نستظل بفيها ساعات الظهر، ونام تحتها في فترة الاستراحة من العمل في سقي الأشجار، على فترتين صباحاً ومساءً، نأكل ونستريح، أما في عرقها فكنا نحتفظ بأدوات مطبخنا المتواضعة، التي نستعملها هناك أثناء العمل، نخبئها في جوفها الشبيه بالكهف، أما أعلى الجذع، فكان ملاذاً لي عندما أكون هناك وحيدة، للاختباء بين أغصانها الكثيفة، عندما كان الجيش الإسرائيلي يمر من المنطقة في بداية الاحتلال، فعندما كنت اسمع أصواتهم أو أراهم من بعيد، أسارع للاحتماء بين أغصانها الكثيفة حتى يذهبون.

زيتونة الحاكورة كانت غزيرة الثمر، وفي أحدى سنوات الماسية أنتجت خمسة أكياس كبيرة، وهذا يعني خمس تنكات زيت.

قبل سنتين ذهبت إلى تلك الأرض التي تغيرت كثيراً، بعد أن قطع المستوطنون بمستوطناتهم الكثيرة الطريق إليها، فأصبح من الصعب الوصول إليها إلا عبر بوابة كهربائية، يتحكم في زر فتحها جندي إسرائيلي، كثيرا ما يكون حاقداً.

قبل بدء انتفاضة الأقصى لم يكن هناك مشكلة في الوصول إلى الأرض، حتى بوجود المستوطنين، ورغم «الطوش» الكثيرة التي خضناها معهم، إلا أننا استمرينا في الذهاب وزراعة الأرض وحراثتها وعمل اللازم لها. فشل مشروع الحمضيات بعد سنوات طويلة، لم يكن الثمر مجدياً، وذلك لأن الأرض مكشوفة للرياح الغربية الباردة، أما أرض جارنا فكانت محمية من تلك الرياح فنجح المشروع.

اقتلع أبي أشجار الحمضيات، مبقيا بعض شجرات الليمون والبرتقال، وجلب بيتاً بلاستيكياً ظل يزرعه بندورة وخيار وكوسا، ومعظم أنواع الخضروات، وقد نجح نجاحاً باهراً، إلى أن بدأت الانتفاضة، فقام المستوطنون بحرقه وأغلقت الطريق، ولم نعد نستطيع الوصول سوى مرتين في العام، مرة للحراثة التي تأتي متأخرة، ومرة أخرى أثناء موسم الزيتون. عندما ذهبت قبل سنتين، توجهت مباشرة إلى زيتونة الحاكورة، فأحزنني ما رأيت، كانت ذاوية، وتحتها مليء بالأشواك، ولم تعد غصونها يانعة مثقلة بحبات الزيتون لتصل الأرض من ثقلها، بكيت ولم أجلس تحتها ولو لدقيقة واحدة.

هذا العام لم اتمكن حتى الآن من الذهاب، ربما أذهب في عطلة العيد إذا لم تجد السماء بالمطر، وإذا سمح لنا المستوطنون بذلك. كل عام يخرجون لنا بجديد، ليؤكدون لنا أنهم المسيطرون، في العام الماضي صوروا سورة من القرآن الكريم، التي تقول بما معناه أن الله وعدهم بأرض فلسطين، وأن على المسلمين ترك هذه الأرض لهم، إن كانوا يؤمنون بالقرآن. لم تنجح الحيلة، وفي هذا العام كتبوا بخط عربي كبير، وعلقوا على أشجار الزيتون المعمرة عبارة تقول: «هذه الشجرة انتقلت لملكية يهودية، ممنوع الاقتراب منها». أوراق العام الماضي التقطها الناس وحافظوا عليها لأنها كلمات القرآن الكريم، أما أوراق هذه السنة، فقد استخدمها كل كما يحلو له، منهم من استخدمها لإشعال النار لعمل الشاي، ومنهم من استخدمها لأغراض أخرى، خاصة من نسي من الفلاحين أخذ ورق التواليت. بدعة أخرى خرج بها جنود الاحتلال هذا العام، الذين يرافقون المزراعين، ففي الأعوام السابقة، كانوا يمنعون المزارعين من الذهاب إلى أراضيهم يومي الجمعة والسبت، على اعتبار أنهما أيام عطلة للمستوطنين، واحتراماً للسبت الذي لا يتحركون فيه. في هذا العام أضيف يوم الأحد للعطلة، لأن الجنود يعودون من بيوتهم تعبانين من الإجازة، وعلى المزارعين احترام ذلك، وهذا يعني أنه مسموح للمزارعين بالذهاب فقط من يوم الإثنين حتى الخميس، ومن الساعة التاسعة حتى الرابعة، وبعد أيام سيقولون لهم كفى، وسيظل الزيتون عى الأشجار، وربما لن يصل الدور إلى زيتونة الحاكورة التي سيزداد حزنها أكثر، بسبب فقدان أبي راعيها. فأي ظلم هذا!؟

صاحب الإمتياز طاقم شؤون المرأة

المشرفة العامة : سريدا حسين

المحررة المسؤولة: لبنى الأشقر

تحرير وتدقيق: عطاف يوسف

شارع الإرسال – مركز عواد

ص.ب : ٢١٩٧ رام الله

هاتف : ٢٩٨٦٤٩٧ – فاكس: ٢٩٦٤٧٤٦

بريد الكتروني: (watc__media@palnet.com)

الآراء الواردة في الصحيفة تعبر عن رأي اصحابها

تطبع في مطابع الايام

بالشراكة بين

طاقم شؤون المرأة

حركة من اجل السلام

Junta de Comunidades de Castilla-La Mancha

مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي

Tamer Institute for Community Education